# المنتدى


الانتماء والإنماء

٢١٣
عدد ممتاز

مجلة فكرية ثقافية يصدرها مرة كل شهرين
منتدى الفكر العربي

العدد ٢١٣ المجلد الثامن عشر (٦)
تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٣


في هذا العدد

الحسن بن طلال

ملاحظات حول

دور الكفاءات العربية المهاجرة

و

حوار مطوّل مع

أ. كامل الشّريف

الانتماء والإنماء

# منتــدى الفكـــر العـــربيّ

الرّئيس والرّاعي

**سموّ الأمير الحسن بن طلال**

President & Patron

**HRH Prince El Hassan bin Talal**

الأمين العام

**عبد الملك يوسف الحمَر**

Secretary-General

**Abdul Malik Yousuf Al-Hamar**

منظمة عربيّة فكريّة غير حكوميّة تأسست عام ١٩٨١ في أعقاب مؤتمر القمّة العربيّ الحادي عشر بمبادرة من المفكّرين وصانعي القرار العرب، وفي مقدمتهم سموّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس المنتدى؛ تسعى إلى بحث الحالة الراهنة في الوطن العربيّ وتشخيصها، وإلى استشراف مستقبله، وصياغة الحلول العمليّة والخيارات الممكنة، عن طريق توفير منبر حُرّ للحوار المفضي إلى بلورة فكر عربيّ مُعاصر نحو قضايا الوحدة، والتنمية، والأمن القومي، والتحرر، والتقدم. وقد اتخذ المنتدى عمّان مقراً لأمانته العامة.

## يهدف منتدى الفكر العربيّ إلى:

١- الإسهام في تكوين الفكر العربيّ المعاصر، وتطويره، ونشره، وترسيخ الوعي والاهتمام به، لا سيما ما يتصل منه بقضايا الوطن العربيّ الأساسية، والمهمات القومية المشتركة، في إطار ربط وثيق بين الأصالة والمعاصرة.
٢- دراسة العَلاقات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية في الوطن العربيّ، وتدارسها مع مجموعات الدول الأخرى، لا سيما الدول الإسلامية والدول النامية، بهدف تعزيز الحوار وتنشيط التعاون، بما يخدم المصالح المتبادلة.
٣- الإسهام في تكوين نظرة عربيّة علمية نحو مشكلات التنمية التي تعالجها المنتديات والمؤسسات الدولية، بما يحقق إسهاماً فعالاً في صياغة النظام العالمي، ويضع العَلاقات الدولية على أسس عادلة ومتكافئة، ويخدم التكامل الاقتصادي.
٤- بناء الجسور بين قادة الفكر وصانعي القرار في الوطن العربيّ، بما يخدم التعاون بينهم في رسم السياسات العامة، وتأمين المشاركة الشعبية في تنفيذها.
٥- العناية بالدراسات المستقبلية المتعلقة بشؤون أقطار الوطن العربي وعلاقاتها الدولية.

## ويعمل المنتدى على تحقيق أهدافه عن طريق:

١- عقد الحوارات العربيّة العربيّة: وتتناول هذه الحوارات مناقشة أهم الموضوعات التي تهم العالم العربيّ. ويشارك فيها أعضاء المنتدى؛ إضافة إلى نخبة من الخبراء والأكاديميين.
٢- عقد الحوارات العربيّة الدولية: ويتكون فيها الطرف العربيّ من أعضاء المنتدى وخبراء وأكاديميين عرب؛ ويمثل الطرف المقابل إحدى الهيئات أو المعاهد أو المراكز من مختلف الدول والتجمّعات العالمية.
٣- القيام بالبحوث والدراسات الإستراتيجية: وتشمل الدراسات العلمية لفرق بحثية متخصصة حول القضايا الكبرى التي تواجه العرب حاضراً ومستقبلاً.
٤- المطبوعات: إضافة إلى سلسلة المطبوعات الخاصة التي توثق كل نشاط من الأنشطة المذكورة أعلاه (الحوارات العربيّة، والحوارات العالمية، والبحوث الاستراتيجية)، يقوم المنتدى بإصدار مجلة تصدر مرة كل شهرين بعنوان المنتدى باللغة العربيّة، ومجلة فصلية إلكترونية باللغة الإنجليزية تصدر كل ثلاثة أشهر، بهدف تعريف الأفراد والمؤسسات بخلاصة الحوارات والندوات والمؤتمرات التي يعقدها المنتدى؛ إضافة إلى نشر مقالات وترجمات تهُمّ المثقف والمواطن العربيّ.

ويعتمد المنتدى في تمويله على رسوم الأعضاء العاملين والمؤازرين (مؤسّسات)، وتبرعات الأعضاء والأصدقاء ومساهماتهم؛ إضافة إلى ريع وقفيته المتواضعة.

## عضوية المنتدى:

١- عضوية عاملة: تضم نخبة من الشخصيات العربيّة المتميزة، التي تؤمن بالمنتدى وبالأهداف التي أنشىء من أجلها.
٢- عُضوية مؤازرة: تضم مجموعة من أبرز المؤسسات والمجالس العربيّة المتفتحة التي تؤمن إداراتها بالعمل وبالفكر العربيّ المشترك.
٣- عُضوية الشرف: يمنحها مجلس الأمناء للأفراد والمفكرين من غير الأعضاء العاملين، الذين قدّموا مآثر ومساهمات جلّى، في مختلف الميادين، على المستويين العربيّ والدولي.



صفحة
٨٦




# المنتدى

مجلة فكرية ثقافية يصدرها مرة كل شهرين
منتدى الفكر العربي

المجلد الثامن عشر (٦)
تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٣





رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٣/١٣/ د)


# المحتويات

العدد ٢١٣ المجلد الثامن عشر (٦)
تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٣



صفحة
٨٦



# كلمة أولى

أ.د. همام غصيب
رئيس التحرير

هذا هو العددُ الأخير في المجلّد الثّامن عشرَ للعام ٢٠٠٣. وهو يُكملُ سلسلةَ أعدادنا الستّة (٢٠٨-٢١٣) التي أردْناها كُلّها ممتازة احتفاءً بتحويلِ المنتدى من نشرةٍ إلى مجلّة.

والعددُ طافحٌ بالمراجعاتِ التّقليديّة التي تُؤذنُ بنهايةِ العام: المنتدى ٢٠٠٣؛ محتويات المجلّد الثّامنَ عشر؛ ... . كما أنّه يحتفلُ بانتقال الأمانةِ العامّة للمنتدى إلى المقرّ الدّائم: مقرّ جديد وانطلاقة جديدة بإذن الله؛ وزيارة كريمة لرئيس المنتدى وراعيه.

وما زِلْنا نجدِّدُ ونجرّب. فها هي زاويتُنا الجديدة حوارات، نبدأها بحوارٍ مستفيض مع أ. كامل الشّريف.

يتجدّدُ أملُنا في هذه الأيّام المباركة، وتنتعشُ روحُنا، ونرنو بثقة إلى المستقبل. وكلّ عامٍ وأنتم بألفِ خَيْر. □

# جولة العدد

العدد ٢١٣ المجلّد الثّامن عشر (٦)
تشرين الثّاني/نوفمبر ٢٠٠٣

خاطرة

# أي أهداف... مستهدفة ؟!

**عبد الملك يوسف الحمَر**
الأمين العام

في الأعداد السابقة من مجلة المنتدى أشرت إلى بعض التساؤلات التي قصدت بها استرعاء الانتباه إلى مسائل تستحق التذكير بها، والتفكير، فالتدبر لكي نحدد لأنفسنا موقفاً ومكاناً في خضم الصراعات أو التيارات الفكرية المعاصرة. ولا شك أن القارئ الحصيف قد لاحظ أنني لا أستعمل لفظة قضية ولا مشكلة تحسباً منّي بأن المسألة كلمة تجمع معان ومقاصد متعددة، ومنها قد تكون المساءلة في سياق المسؤولية. وكذا فالمسألة أقرب فكرياً إلى وجدانية الأصالة بثوابتها وتوجهاتها الإيجابية. فالعمل الفكري بالمنتدى، على وجه الخصوص، مسؤولية حضارية تختزل الحقب المضيئة من تأريخ أمتنا متواصلة متصلة بالحضارة الإنسانية التي لنا بها المشاركة الفعّالة في الخيرية والغيرية.

❖ ❖ ❖

أفترض أن هذه الخاطرة تُقرأ استكمالاً للتساؤل في العدد ٢١١: أي فكر عربي؟ متصل عضوياً وممتد إلى الأهداف الخمسة التي تكرر في صدر كل عدد من مجلة المنتدى تأكيداً وتذكيراً بمعانيها ومقاصدها بغية تصويب مسيرتنا للعمل على تحقيق الأهداف المرجوة. وهذا يقتضي بالضرورة أكثر من وقفة مراجعة ذاتية، وإلى متابعة تقويم جماعي يشارك فيه أعضاء المنتدى ومؤازروه مستذكرين، بل مدركين، أهمية تفعيل شريحتي شعار: الانتماء والإنماء معاً، بإيمان ثابت بأن للفكر عطاءً حضارياً غير مجذوذ، وأن للنفس تسامحاً يزكيها في علاقتها مع الآخرين، وأن للعقل نبراساً من العقلانية الراشدة، وأن للعمل الإيجابي المسؤول مجالاً واسعاً للتجديد... وهكذا تكون المؤسسة الفكرية منبراً لتعدد الثقافات وتكامل الحريات، وملتقى الحوارات وتنشيط الفعاليات معبّرة - كما نأمل - عن موقف حضاري عربي إنساني.

❖ ❖ ❖

عبر اثنين وعشرين عاماً استهدفت أنشطة المنتدى مجموعة متنوعة من لقاءات وحوارات وندوات وحلقات نقاش وجلسات عصف ذهني شارك فيها العديد من المفكرين العرب وغيرهم ممن يتواصلون حضاريا بالثقافة العربية وتوجهاتها. وباختصار، فقد تفرّد المنتدى بالانفتاح والتواصل مستهدفاً بذلك وشائج المجتمع الإنساني وتكامله في اعتدال موزون بمفاهيم أصيلة، ومنطلقات متجددة، وتوجهات مستقبلية واعدة. كل هذه الفعاليات أورثت المنتدى بريادة سمو الأمير الحسن بن طلال خبرة متطورة على المستوى العربي والعالمي تمثلت في ثروة فكرية ذات حركة ذاتية تكفل للمنتدى، باعتباره الملتقى العربي الأول، حيويته واستمراريته.

❖ ❖ ❖

وهاهو المنتدى في مقره الجديد يحيّي الأمناء العامين السابقين، بدءاً بالمرحوم خليل السالم وانتهاءً بالدكتور علي عتيقة. كما نهنئ جميع العاملين الذين يتقدمون بوافر الشكر والامتنان إلى كل من ساهم في إرساء هذا الصرح الفكري على الأرض الهاشمية، وهو يعانق الآمال العربية مقرونة بأهداف المنتدى التي لم تزل تتطلع إلى مساهمة الجميع في تجسيرها وقادة حفّازة معطاءة لأمتنا العربية الإسلامية، وذلك في سبيل وجدانية انتماء، وعقلانية منهج، وإنتاجية نماء تشكل جميعها من خلال أهدافنا إنساناً عربياً مفكراً من أجل حضارةٍ إنسانية تتسم بأولوية الكرامة دون التفريط بالحرية المسؤولة أمام التأريخ.

## افتتاحيّة

# ملاحظات حوْل دوْرِ الكفاءاتِ العربيّةِ المهاجرة *

الحسن بن طلال

تشكّل الهجرة ظاهرة مهمّة في سلوك السّكّان في شتّى البقاع والأصقاع. وهي ظاهرة بالغة التأثير سواء ضمن الإقليم الحضاريّ الواحد أو عبْرَ الأقاليم. وإذا ركّزنا على هجرة الكفاءات، فنحن نتحدّث عن دوافعَ ثلاثة لهذا النّوع من الهجرة: الدّافع الأوّل متمثّل في القهر والاضّطهاد السّياسيّ وانخفاض سقف الحرّيّات؛ والثّاني في الفرص الاقتصاديّة الأفضل؛ أمّا الدّافع الثّالث فمتمثّل في البيئة العلميّة والثّقافيّة الأكثر ملاءمة. غيْر أنّ الحدود الفاصلة بين هذه الدّوافع الثّلاثة لهجرة الكفاءات ليست صارمة؛ إذ إنّ اجتماع أكثر من دافع لهذا النّوع من الهجرة في القطر الواحد أو لدى المجموعة الواحدة من المهاجرين أمر طبيعيّ.

إنّ هجرة الكفاءات النّاشئة عن انخفاض سقف الحرّيّات تثير قضيّة بالغة التّعقيد وقعت في شراكها كثير من الدّول، خاصّة ذات الأنظمة الشّموليّة؛ وربّما كانت أحد الأسباب الرّئيسيّة في انهيار بعض تلك الأنظمة. ذلك أنّ ما لم تدركْه تلك الدّول أنّه، مع ازدياد مستوى التّعليم وارتفاع المهارات وتجذّر الكفاءات المهنيّة والعلميّة عمودياً، فإنّ الفضاء الذي تتطلّبه تلك الكفاءات يجب أنْ يصبحَ أكثر اتّساعاً وأغنى تنوّعاً . فالعالِم المتمرّس والباحث المتفوّق على مستوى دوليّ لا يستطيع أنْ يعملَ في فضاء محدود تحكمه الهواجسُ الأمنيّة وتضبطه المفاهيمُ الجامدة وترسمه العَلاقاتُ الشّخصيّة. وهو لا يستطيع أنْ يقبلَ سقوفاً لِما يمكن أنْ ينطلقَ به علمه وعقله؛ في حين أنّ المستوى المتواضع من العلم والثّقافة والحضارة يقتنع بالقليل من الحُرّيّات. وهكذا، في الوقت الذي تمعن فيه أقطارنا في التوسّع في التّعليم أفقيًّا وعموديًّا، فإنّ بعضاً منها لا يراعي ضرورة إطلاق الحرّيّات السّياسيّة والفكريّة والعلميّة وتوسيع مضامينها، وقَبول مبدأ التّعدّديّة وتداول السّلطة وقَبول الرّأي الآخر. هذه الحالة تدفع بالكثير من الكفاءات الواعية والنّاشطة والكفاءات المفكّرة إلى الهجرة والبحث عن مكان آخر في الوطن العربيّ أو خارجه تستطيع أنْ تمارسَ فيه حرّيّتها. وغالباً ما تُعاني هذه الكفاءات القلق والتّردّد بين جاذبية البقاء في الوطن، بالرّغم من الضّيق والضّنك، والانطلاق إلى بلد المهجر وولوج فضاء الفرص

* نصّ مقدّم إلى إدارة السّياسات السّكانيّة/ الأمانة العامّة لجامعة الدّول العربيّة؛ القاهرة. ومن المقرّر أنْ يُنشر في الشهر القادم (كانون الأوّل/ديسمبر ٢٠٠٣) في **التقرير الإقليميّ لهجرة العمل العربيّة**.

الواعدة، على أمل العودة إلى الوطن الأصليّ في وقت لاحق متى لاحت ظروف مواتية. إنّ اضطهاد الحرّيات، حتّى لو كان في الأساس سياسياً، فالاحتمال الأرجح أنّه لا يبقى محصوراً في السّياسة، بل ينعكس على شتّى مكوّنات التّجديد لدى المجتمع. فسقف الحرّيات المنخفض يقتل روح الإبداع والمبادرة والابتكار والمخاطرة العلميّة والبحثيّة والمهنيّة والمهاراتيّة، ويُشوّه الصّفات الخلاّقة للمجتمع.

أمّا الكفاءات المهاجرة بدوافعَ اقتصاديّة فإنّها تثير سؤالَيْن جوهريَّيْن. الأوّل: لماذا لا توفّر الدّولة التي يهاجر أبناؤها العائدَ العادل والمنافس للكفاءة الوطنيّة مقاسة بالقيمة الاقتصاديّة الفعليّة لإنتاجها، سواء في القطاع العام أو في دوائر الدّولة؟ والثّاني: لماذا لا يوجد العدد الكافي من المؤسّسات الرّسميّة والأهليّة والعلميّة القادرة على استيعاب تلك الكفاءات وتشغيلها؟ ذلك أنّ الكثير من البلدان ما زالت سياساتها التّوظيفيّة لا تميّز بيْن الموظّف العاديّ أو المتوسّط وصاحب الكفاءة العالية، متجاهلة أنّ الدّول الحديثة والاقتصادات المتطوّرة هي اقتصادات المعرفة التي يُشغلها ويقودها الخبراء والكفاءات العالية لا الموظّفون التّقليديّون. الإشكال الذي تُعانيه الأقطارُ العربيّة في هذا الصّدد أنّها، مَعَ تعقّد متطلّبات الدّولة الحديثة، لا ترى حتى الآن دوْراً حاسماً أو كبيراً أو محورياً للكفاءات في صنع القرار. ولا شكّ أنّ شعور القهر النّاشئ عن التّهميش يعمل على تنشيط دوافع الهجرة، بكلّ ما يَعني ذلك من ضَياع للفرص وإهدار للاستثمارات الوطنيّة.

إنّ الكفاءات المهاجرة غالباً ما تعمل في إطار محدود من المسؤوليّات والإمكانات في بلد المهجر، خاصّة حين يتعلّق الأمر بالمهاجرين إلى الأقطار العربيّة التي لم تستطعْ بعد أنْ تصل إلى المرحلة التي تكون فيها مستعدّة لتوْطين الكفاءات المهاجرة وإعطائها كامل الفرص، كما تفعل الدّولة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة أو أوروبّا، على الأقلّ إلى ما قبل ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١. فالكفاءات المهاجرة إلى الولايات المتّحدة وأوروبّا كانت قادرة على الاندماج إلى حدّ كبير مع المجتمع بمؤسّساته العلميّة؛ الأمر الذي كان يُمكّنها دائماً من رفع إنتاجها إلى المستوى العالي المتوقّع في تلك البلدان. وهكذا، لم تكن تلك الكفاءات تبقى مهاجرة في نظر البلدان المضيفة، خاصّة حين نتحدّث عن الكفاءات العالية؛ بل كانت تصبح من المنظور العلميّ الإنتاجيّ جُزْءاً من آلة الإنتاج الأمريكيّة أو الأوروبيّة. أما الأقطار العربيّة فلا تزال تعجز عن التّمييز بين المهارة البسيطة التي يمكن تعويضها بأيّ مهارةٍ محلّيّة أو بديلة والكفاءة العالية التي يجب التّمسّك بها وإعطاؤها كلّ الحوافز، بما فيها المواطَنة، حتّى تندمجَ مَعَ الكتلة العلميّة والتّكنولوجيّة من الكفاءات وتتوقّف عن كوْنها مهاجرة؛ فتصبح جزْءاً من الآلة الإنتاجيّة العلميّة والتّكنولوجيّة المحلّيّة. هذا العجز في التّمييز بين المهارة البسيطة والكفاءة العالية جعل الهجرةَ العربيّة-العربيّة محدودة الفاعليّة لدى جميع الأطراف. فهي تُنقص من كتلة الكفاءات في بلد الأصل لأنّها تخرج منها؛ ولا تزيد في كتلة الكفاءات في بلد المهجر العربيّ لأنّها لا تندمج فيها بسببٍ من قوانين الانتقال والهجرة والعمل والتّملّك. وعليه،

فإنّ الهجرة كثيراً ما تشكّل خسارة مزدوجة بهذا المفهوم من حيث الاستفادة من الكفاءات المهاجرة، وإنْ كانت تلك الكفاءات تقوم بدوْرها المؤقّت سواء في التّعليم العالي أو التّدريب أو تقديم الخبرات والاستشارات أو الدّراسات. فما لم يدركه العالم العربيّ أنّ الاستفادة القصوى من الكفاءات العالية تتطلّب استقراراً وديمومة وتجذّراً؛ وهذا لا يتأتّى إلاّ بالتّمازج والتّكامل والتّداخل. إنّ الكفاءة العالية لا تُحدث تأثيرها العميق في التّغيير الاقتصاديّ والاجتماعيّ إلاّ حين تضرب جذورُها في المجتمع ومؤسّساته، متكاملةً مع الكتلة الحرجة من العلماء والتّكنولوجيين الوطنيّين. وإذا كانت الدّول المتقدّمة على استعداد لتقديم جنسيّتها وحقوق المواطَنة الكاملة للكفاءات العلميّة العالية المُهاجرة إليها من شتّى أقطار العالم، بصرف النّظر عن اللّون والجنس والدّين واللّغة [حتّى ٢٠٠١/٩/١١]، فإنّ الأقطار العربيّة لا تزال بعيدةً عن ذلك تماماً. ومن الجانب الاقتصاديّ، فإنّ المقاييس التي تتعامل بها الأقطار العربيّة مع الكفاءات العالية لا تزال غائمةً وغيْرَ ناجعة. إنّ الاستثمار في الكفاءة العالية أصبح مُكلفاً للغاية ويصل في متوسّطه إلى ما يقرب من ٢٥٠ ألف دولار للكفاءة الواحدة، ما بين تعليم في مختلِف مراحله وفرص وخبرات ودوْرات. والكفاءة العالية بهذا المفهوم وفي حقبة العوْلمة والشّبكات الإلكترونيّة وتكنولوجيا المعلومات والاتّصالات (ICT) أصبحت سلعةً دوليّة قابلة للتّداول في جميع أنحاء العالم، خاصّة لدى الدّول المتقدّمة. ونحن نعلم أنّ كلاً من الولايات المتّحدة وألمانيا وفرنسا وسنغافورة تبحث عن كفاءات عالية في التّكنولوجيا المتقدّمة في مجالات الاتّصالات والإلكترونيّات والمعلومات تصل أعدادُها إلى عشرات الآلاف، وتنظر إلى الهند مثلاً كأحد المصادر الرّئيسيّة لهذه الغاية. وهذا يَعني أنّ الكفاءة - كسلعة عالميّة وعالية الكلفة - تتطلّب لاستقرارها أسعاراً منافسة ومكافآت مُجزية كما هو متاح لها في السّوق الدّوليّة أو قريب من ذلك. وبطبيعة الحال، فإنّ الكفاءة العالية كلّما كانت متخصّصة في التّكنولوجيّات المتقدّمة والعلوم العصريّة زاد الطّلب عليها في السّوق الدّوليّة. وكلّما استمرّ الفارق بين المكافأة المحلّيّة والمكافأة في السّوق الدّوليّة، عمل ذلك على زيادة الهجرة وأصبح القطر الأقلّ تقديراً للكفاءات طارداً لها.

والهجرة هنا قد تكون افتراضية (Virtual)؛ بمعنى أنّ الكفاءة العالية قد لا تستطيع الهجرة الفعليّة أو ترغب فيها لسببٍ أو لآخر فتبقى جسديًّا في موْطنها، لكنّ نِتاجها الفكريّ يكون لصالح الشّركات المتعدّية الجنسيّات والبلدان المتقدّمة فيصبح ملكاً لتلك الشّركات والبلدان. ولذلك إيجابيّات وسلبيّات. أمّا أبرز الإيجابيّات فهو أنّ هذه الكفاءة تصبح جُزءاً من التّيّارات العلميّة السّائدة في مجالها. وأمّا أبرزُ السّلبيّات فهو أنّ الكفاءة العالية لا تتقاضى إلاّ ثمناً بخساً مقابلَ نِتاجها، مقارنةً بما قد تحصل عليه في حال هجرتها الفعليّة؛ إضافةً إلى ما يعنيه ذلك من نزْف فعليّ في الأدمغة من موْطنها الأصليّ.

والسّؤال الذي يُثار هنا: هل تقوى اقتصاديّات الدّول النّامية على تحمُّل الكلفة العالية للكفاءات كما في السّوق الدّوليّة؟ هل يستطيع اقتصاد الدّولة النّامية أنْ يتحمّلَ أُجوراً ورواتبَ عالية للكفاءات المتقدّمة؟

هذه مسألة بالغة التّعقيد. لكنّ المؤشّرات العامّة تدلّ على أنّ هذا ممكن إلى حدّ كبير، على أنْ تنظرَ الدّولة إلى الموْضوع نظرة متكاملة تربط بيْن الكفاءات والمؤسّسات المتخصّصة ضمن الاستراتيجيّة الوطنيّة في القطاع الذي تعمل فيه تلك الكفاءات؛ إضافة إلى التّمويل الذي يجب أنْ يُنظرَ إليه باعتباره استثماراً طويلَ المدى في عمليّة التّنمية الاقتصاديّة الاجتماعيّة. إنّ مساهمة الكفاءات العلميّة في دمْج مُدْخلات العلم والتّكنولوجيا في نظام الإنتاج من شأنها أنْ ترفع القيمة المضافة للسّلع والخِدمات والمعارف المنتجة أضعافَ المرّات. وقد تكون التّكنولوجيا الحيويّة والهندسة الوراثيّة والإلكترونيّات الميكرويّة والفوتونيّات وهندسة الموادّ من الأمثلة التي تسترعي الانتباه.

أمّا الهجرة بتأثير الدّافع الثّالث، وهو نشدان البيئة العلميّة والثّقافيّة الأكثر ملاءمةً، فإنّها تكاد تمثّل الجُزء الأكبر من الهجرة العربيّة إلى خارج الوطن العربيّ، وبشكل خاصّ إلى أوروبّا والولايات المتّحدة الأمريكيّة وكندا وأُستراليا وغيْرها من مراكز الحضارة الغربيّة. والبيئة الأكثر ملاءمةً تشير هنا إلى إشكاليّة علميّة ثقافيّة معقّدة. ذلك أنّ تطوّر التّعليم وتطوير المهارات والكفاءات والاستثمار فيها غيْر كافٍ بحدّ ذاته من دون تطوير البيئة العلميّة والثّقافيّة والحضاريّة، بما في ذلك التّشريعات والمؤسّسات والبنية التحتيّة التي ستعمل فيها الكفاءات العالية وتتعاملُ معها. والبيئة الملائمة بهذا المعنى ضعيفة في الأقطار العربيّة. والإنفاق عليها محدود للغاية. فما زال إنفاق هذه الأقطار على البحث والتّطوير لا يتعدّى (١٪) - في أحسن الأحوال - من النّاتج المحلّيّ الإجماليّ؛ وما زالت المؤسّسات العلميّة البحثيّة والتّطويريّة محدودة للغاية؛ وما زال الاعتماد على التّكنولوجيا الجاهزة يستأثر بالجُزء الأكبر من المستوْردات. وفي مجال العلوم الإنسانيّة، فإنّ بيئة الحرّيّة والانطلاق غيْر المتاحة في الأقطار العربيّة دفعت وتدفع بالكفاءات إلى الهجرة الخارجيّة.

إنّ تفعيلَ دوْر الكفاءات العربيّة يتطلّب بالدّرجة الأولى التّحرّك في محوريْن متوازييْن.

المحور الأوّل يتناول سلسلة من الحلَقات السّياسيّة والإداريّة والاقتصاديّة تُخرج الكفاءات من حالة التّهميش وتَضع الكفاءات المتميّزة في آلة صُنْع القرار، ضمن منظومةٍ من المؤسّسات الرّسميّة والأهليّة والمؤسّسات المختلَطة. إنّ القرار السّياسيّ يجب أنْ ينطلقَ من أنّ دولة المستقبل هي دولة العلم والكفاءة، ابتداءً من أعلى نقطة في هرم الدّولة - إذْ تحتاج رئاسة الدولة ليس فقط إلى المستشارين الأمنيّين والسّياسيّين وإنّما أيضاً إلى الخبراء والعلماء والكفاءات في شتّى القطاعات الاقتصاديّة والخدميّة والعلميّة والتّكنولوجيّة - وانتهاءً بأدنى نقطة، وهي تطوير المجتمعات الرّيفيّة المحليّة واستصلاح الأراضي. أما الشّركات الكبرى والوزارات والمؤسّسات والدّوائر، بما في ذلك البرلمانات، فلا يمكن أن تنهضَ بدوْرها في التّصدّي لتحدّيات العوْلمة في القرن الحادي والعشرين من دون التّعامل الموْصول مع العلماء والخبراء ومن دون مشاركة الكفاءات. هل يمكن أن نتصوّرَ برلماناً فاعلاً

ودافعاً في اتّجاه التّقدّم إذا لم يعمل مع أعضاء البرلمان الخبراء الأكفياء في شتّى المجالات الاقتصاديّة والعلميّة والسياسيّة والاجتماعيّة والخِدميّة؟ إنّ كلّ مرفق في الأقطار العربيّة يفتقر إلى عمل الخبراء وجهد الكفاءات. ومعالجة هذا النّقص هو المدخل الحقيقيّ للتّغيير والتّقدّم. كما أنّ الإنفاق يجب أنْ يُعطي الأولويّة القصوى لاستثمار الكفاءات العالية من خلال تمويل دوْرها في العمل وفي المؤسّسات، بدلاً من التّركيز على الأولويّات التّقليديّة التي كانت سائدة منذ ٥٠ عاماً.

أما المحور الثّاني فيتناول سلسلةً من الآليّات المؤثّرة. وفي هذا السّياق لا بدّ من تطوير استراتيجيّة وطنيّة مستقرّة تعمل على رفد القطاعات المختلِفة للدولة بالكفاءات المتميّزة، سواء كان ذلك في القطاع العام أو القطاع الخاصّ. وانطلاقاً من تلك الاستراتيجيّة يمكن وضع «أطلس» للكفاءات العالية على أساس قطاعيّ وجغرافيّ واستثماريّ، ويمكن أنْ ينبثق عن ذلك سياساتٌ وبرامجُ طويلة المدى للتّشبيك الشّخصيّ والمؤسّسيّ بين الكفاءات. فليس من المقبول أنْ تعملَ المراكز والمؤسّسات من دون برامجَ مشتركة وخطط متكاملة، مَعَ المحافظة على الاستقلال وروح التّنافس. وهذا يستدعي بالضّرورة إنشاء بنوكٍ للمعلومات الوطنيّة تكونُ قواعدها البيانيّة والمعرفيّة في متناول أيّ من المؤسّسات. ومن خلال التّشبيك الثّنائيّ والمتعدّد يمكن تفعيل دور الكفاءات العربيّة، خاصّة بالتّركيز على المشروعات المشترَكة.

إنّ تعظيم الاستفادة من الكفاءات العربيّة على المستوى القُطريّ هو حجر الزّاوية للتّعامل مع الكفاءات على المستوى العربيّ. ومَعَ أنّ هنالك الكثيرَ من المجالس الوزاريّة العربيّة المشتركة كالدّاخليّة والإعلام والسّياحة، فإنّ مجلساً عربياً للعلم والتّكنولوجيا والكفاءات العالية لا يزال غائباً.

إنّ الأقطار العربيّة تجابه تحدّيات هائلة. فأعداد الكفاءات وحجومها ومهاراتها وتنوّعاتها أقلّ بكثير من الكتلة الحرجة اللّازمة للانطلاق والنّهوض، حتّى في القطاعات المصيريّة مثل المياه والطّاقة والبيئة والاقتصاد والزّراعة. وليس من سبيل للتّغلّب على هذه التّحدّيات إلاّ من خلال رفع إنتاجيّة الكفاءات العالية واستغلال تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات في تعميق التّشبيك الوطنيّ والقوْميّ. كما أنّ من الحكمة النّظر إلى الكفاءات المهاجرة إلى خارج الإقليم العربيّ كمصدر كبير للخبرة والمعرفة ولمتابعة أحدث مُنتجات العلم والتّكنولوجيا والإدارة. وهذا بدوْره يتطلّب تعميق التّشبيك مَعَ تلك الكفاءات من خلال منظّمات المجتمع المدنيّ المتخصّصة، بما في ذلك مساعدة الكفاءات المهاجرة على إقامة مثل هذه المنظّمات في المهجر.

إنّ وسائل تفعيل الكفاءات المهاجرة كثيرة ومتنوّعة. غيْر أنّها تتطلّب بالضّرورة القرار السّياسيّ؛ كما تتطلّب الاستثمارات الماليّة والمؤسّسيّة اللّازمة، في إطار من الدّيمقراطيّة والشّفافيّة والتّطلّع نحو المستقبَل بعيْن العلم وبصيرة القيادة المستنيرة. □

# لا حداثة دون تحديث سياسي

د. الحبيب الجنحاني *

السؤال الخطير الذي يطرح نفسه علينا في مطلع الألفية الثالثة، وبعد مرور أكثر من قرن ونصف على بداية النهضة العربية في القرن التاسع عشر هو: لماذا فشلت حركة التنوير العربي؟

حاول عرب وأجانب من ذوي الاختصاص الإجابة على هذا السؤال في كتاب ضخم صدر بالفرنسية سنة ٢٠٠٢ بعنوان **قرن دون طائل** (*Un siecle pour rien*).

وقبل أن أحاول الإجابة عن السؤال في هذا المقال أود الإشارة إلى الملاحظات الأساسية الآتية :

أولاً: أطلق أستاذ رفاعة الطهطاوي، العالم الأزهري حسن العطار (١٧٦٦ – ١٨٣٥)، في مطلع القرن التاسع عشر صيحة الفزع قائلا: «إن بلادنا لا بد أن تتغير أحوالها، ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها». وصدع بعد قرن من ذلك، أي في مطلع القرن العشرين، شيخ آخر من شيوخ الاستنارة والتجديد الديني هو الإمام محمد عبده (١٨٤٩ – ١٩٠٥) قائلاً: «إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه، ويحتمل الإيمان من وجه واحد، حمل على الإيمان، ولا يجوز حمله على الكفر».

وكتب في الفقرة ذاتها معاصره ومجادله فرح أنطون (١٨٧٧ – ١٩٢٢) ذوداً عن قيم الدولة المدنية يقول: «لا مدنية حقيقية، ولا عدل، ولا مساواة، ولا أمن، ولا ألفة، ولا حرية، ولا علم، ولا فلسفة، ولا تقدم في الداخل إلا بفصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية؛ ولا سلامة للدول، ولا عزّ، ولا تقدّم في الخارج إلاّ بفصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية».

ويطرح نفسَه علينا سؤال جوهري: كيف الوضع في المجتمع العربي الإسلامي بعد مرور قرنين على صيحة الشيخ حسن العطار، وقرن على مقولتي محمد عبده، وفرح أنطون؟ ويمكن طرح السؤال بصيغة أخرى: لماذا عودة الطهطاوي، ونحن في مطلع القرن الحادي والعشرين؟ هل هو الحنين إلى الماضي، والتغني بأمجاده، أو هو الوفاء إلى رائد جريء، ومتميز من رواد الفكر التنويري العربي؟

لا الحنين ولا الوفاء مهمان ومفيدان، وإنما العودة تعني في حقيقة الأمر تكرار السؤال الذي طرح أكثر من مرة: لماذا لم يتحقق الحلم الذي غرس بذرته الأولى الشيخ رفاعة عندما تحدث في رحلته «تخليص الإبريز في تلخيص باريز»[1] عن الدستور الفرنسي، أو «الشرطة"» كما يسميه، وعن الحقوق الطبيعية، وعن العدل، وعن مناخ الحريات في باريس، خاصة حرية الصحافة

* أستاذ التعليم العالي/كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية/ الجامعة التونسيّة/تونس؛ عضو المنتدى.

والنشر، وعندما أكد واعياً هادفاً أنه قرأ مؤلفات جان جاك روسو (Jean - Jaques Rousseau)، ولا سيما العقد الاجتماعي، وكـــــذلك روح الشرائـــع لمونتسكيو (Montesquieu)، وأولى عناية لمؤلفات جان جاك بورلماكي (Jean-Jacques Burlamaqui)، وفولتير (Voltaire)، ثم أعلنه فرح أنطون (١٨٧٤ – ١٩٢٢) واضحاً صريحاً بعد نصف قرن من ذلك في مجلته «الجامعة»، وأعني حلم بناء الدولة المدنية القائم على المؤسسات الدستورية، واحترام القانون، وصيانة حقوق المواطن؟

لماذا لم تنجح حركات التنوير العربية في مختلف مراحلها التاريخية في إرساء أسس الدولة المدنية، وبقيت النظرية بعيدة عن التطبيق منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى مطلع القرن الحادي والعشرين؟

ولماذا بقي جل حاملي لواء الفكر التنويري العربي منذ عصر الشيخ رفاعة حتى اليوم يركضون وراء الركب السلطاني، ويسبحون آناء الليل وأطراف النهار بحمد «ولي النعم» كما اعتاد أن يطلق الطهطاوي على حاكم مصر بأمره يومئذ محمد علي (١٨٠٥ – ١٨٤٨)؟

من أهداف هذا النص محاولة الإجابة على هذا التساؤل.

ثانيا : إن إشكالية علاقة المثقف بالسلطة في المجتمع العربي الإسلامي مرتبطة وثيق الارتباط بتاريخ تيارات الفكر التنويري العربي الإسلامي(٢)، وهي إشكالية مطروحة اليوم بحدة.

نجد لمسألة علاقة المثقف بالسلطة صدى في كثير من المجتمعات، وبخاصة في المجتمعات التي سيطرت عليها بالأمس، أو تسيطر عليها اليوم، نظم استبدادية. وقد اكتسبت خطورة ذات شأن في البلدان الغربية منذ عصر الأنوار، ولا سيما في القرنين التاسع عشر والعشرين. وما يزال الجدل قائماً في صفوف النخبة المثقفة الأوروبية حول قضية محورية وشائكة تتمثل في محاولة الإجابة على السؤال التالي: كيف استطاعت نظم استبدادية قامعة اشتهرت بمجازرها، مثل النازية والفاشية والستالينية بالأمس، والصهيونية اليوم، أن تجد في صفوف «المثقفين» من يؤيدها، ويحاول تبرير سياستها فكرياً باسم شعارات مختلفة؟

لعلاقة المثقف بالسلطة سمات عامة؛ لكنها تتميز بميزات خاصة في البلدان العربية. وهذه الميزات نفسها تختلف وتتغير من بلد إلى آخر، ومن مرحلة تاريخية إلى أخرى. وأميل إلى الاعتقاد أنه لا يمكن فهم كثير من معطيات الاستنارة العربية إذا لم تحظ هذه القضية بما تستحقه من عناية وتمحيص، وأكتفي بالإلماع هنا إلى أننا نجد فئتين أساسيتين ضمن زمرة رواد الحركة التنويرية العربية:

أ- فئة أولئك الذين كانوا في عصرهم دعامة أساسية من دعامات الحكم المطلق الاستبدادي، مثل الطهطاوي وخير الدين وعلي باشا مبارك (١٨٢٧ – ١٨٩٣) ومدحت باشا (١٨٢٢ – ١٨٨٣). فهل اعتقدوا أنهم قادرون عبر نشر أفكارهم الإصلاحية على إصلاح النظام من داخل السلطة؟ ذلك ما سنراه في ملاحظة لاحقة.

ب- فئة ثانية كانت معارضة للسلطة، وأصابها بسبب مواقفها الإصلاحية التحريرية عنتا شديداً، مثل الأفغاني

(١٨٣٨ – ١٨٩٧) (٣) وولـــي الــديـــن يـــكـــن (١٨٧٣–١٩٢١) (٤) وسليم سركيس (١٨٦٧–١٩٢٦) (٥).

ثالثا : أرى أنه لا يتـأتـى فـهـم الحركات الإصلاحية العربية فهما شاملاً ودقيقاً إلا إذا نُزِّلت في ظروفها الموضوعية مكاناً وزماناً. وتشغل السياسة حيزا بارزاً ضمن هذه الظروف الموضوعية، وهنا تتنوع المواقف، بل قل تتباين، فقد رأينا فئة من رواد الاستنارة حاولت الإصلاح من داخل السلطة عندما قدمت في مؤلفاتها نموذجاً للسلطة السياسية في ديار الآخر المتقدم: الغرب من جهة، وعندما سعت إلى تأسيس نظام تعليمي عصري قصد تخريج جيل جديد من المتعلمين المستنيرين من جهة أخرى. وهنالك الفئة الثانية التي أدركت أنه لا أمل في الإصلاح ولا في التحديث الحقيقي دون البداية بالإصلاح السياسي الهادف أساساً إلى القضاء على الحكم المطلق الاستبدادي، وتأسيس نظم دستورية جديدة، وتحويل نظم «الملك المطلق» إلى «ملك مقيد بقانون»، حسب تعبير ابن أبي الضياف، على غرار النظم الملكية الدستورية التي عرفتها البلدان الأوروبية في القرن التاسع عشر، وبخاصة فرنسا، بل ذهب بعض أنصار هذا التيار إلى ضرورة الثورة ضد هذه النظم إن لزم الأمر، كما عبرت عن ذلك الرؤية السياسية الفكرية للثورة العرابية.

وأود الإشارة في هذا الصدد إلى فئة أخرى فرت من السياسة بعدما اكتوت بنارها، وركزت على التوعية عبر نشر التعليم والمعرفة، ويعد الشيخ محمد عبده من أبرز ممثلي هذه الفئة، فقد لعن فعل «ساس» و «يسوس»، وقد أصبح من المعروف أن موقف الشيخ هذا كان من أبرز أسباب الفرقة بينه وبين أستاذه الأفغاني(٦).

السؤال الكبير الذي يطرح نفسه في هذا الصدد هو: هل كان أنصار الفئة الثانية مدركين أنه لا يمكن أن يتحقق التقدم، وأن تؤتي إصلاحات ذات طابع تحديثي أكلها في ظل نظم سلطوية استبدادية، وأن الحل يبدأ بالإصلاح السياسي، كما تفطن إلى ذلك خير الدين «حكيم السياسة» كما يسميه الشيخ رفاعة. القضية طرحها رواد الاستنارة العربية بالأمس، ومطروحة على النخبة الفكرية والسياسية العربية اليوم.

أدرك الطهطاوي أهمية العامل السياسي، دون ريب، وقد جاء اعتناؤه بكتابي «العقد الاجتماعي» لروسو و «روح الشرائع» لمونتسكيو نتيجة هذا الإدراك. ولكن العامل السياسي اكتسب بعداً آخر في كتاب «أقوم المسالك» لخير الدين، فقد تفطن أن تقدم الإفرنج في المعارف ناتج «عن التنظيمات المؤسسة على العدل والحرية»، ويستعمل في مرة أخرى مفهوم «العدل السياسي»، إذ يقول: «وإنما بلغوا (يعني الممالك الأوروبية) تلك الغايات والتقدم في العلوم والصناعات بالتنظيمات المؤسسة على العدل السياسي» (٧). فلا تكفي – إذاً – تنظيمات، ومؤسسات دستورية صورية، فلا بد أن تكون ممثلة تمثيلاً حقيقياً، وأن تكون لها رقابة على السلطة التنفيذية. ويستعمل خير الدين في هذا السياق مفهوم «الاحتساب على الدولة»، وهي وظيفة البرلمان، ويسميه مجلس الوكلاء، «ومجلس الوكلاء المركب ممن ينتخبهم الأهالي للمناضلة عن حقوقهم، والاحتساب على الدولة». ولا بد من أن تكون الحكومة مسؤولة أمام البرلمان ، وله حق سحب الثقة من أعضائها، و«لا يمكنهم البقاء في الخدمة إلا إذا كان غالب أعضاء مجلس الوكلاء موافقاً على سياستهم»(٨).

فقد أدرك صاحب «أقوم المسالك»، ومعه زمرة من رجال الإصلاح في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أن الأوضاع لا يمكن أن تتغير، وأن يخطو المجتمع العربي الإسلامي خطوات ثابتة فوق درب الحداثة الحقيقية بدون تغيير الأوضاع السياسية، وبعث مؤسسات دستورية قائمة على العدل السياسي والحرية. فليس من الصدفة أن يقف خير الدين وقفة طويلة عند مفهوم الحرية، ودورها فيما حققه المجتمع الأوروبي من تقدم. ولا غرو في ذلك، وهو الذي لمس عن كثب ويلات الحكم المطلق الاستبدادي وآثاره الوخيمة، مؤكداً «أن الحرية هي منشأ سعة نطاق العرفان والتمدن بالممالك الأوروباوية»، فتحدث عن الحرية الشخصية، وعن الحرية السياسية، وعن حرية النشر والتعبير، وعن علاقة الحرية بالاقتصاد، مستنجداً بابن خلدون في المقدمة في إبراز علاقة الحكم الاستبدادي بخراب العمران.

ونتساءل اليوم، ونحن في مطلع القرن الحادي والعشرين: أحاملو لواء خطاب الحداثة واعُوان لخطورة العامل السياسي في تحقيق مشروع التحديث العربي، أو فشله؟ كثير منهم واعون ذلك، دون ريب، ولكن من الغريب أن نجد اليوم في أدبيات فكر فئات من المثقفين العرب غياب هذا العامل عندما يتحدثون عن معوقات مشروعات التحديث العربية.

إن جميع التجارب العربية والدولية قد برهنت بوضوح أن جميع مشروعات الحداثة التي لم يتزامن فيها التحديث السياسي، أي تحول الدولة من دولة استبدادية قامعة إلى ليبرالية ديمقراطية، هي مشروعات مشوهة ومجهضة، ومن الطبيعي أن تسقط، طال الزمن أو قصر.

وهكذا يمكن القول إن مؤلفات الطهطاوي وخير الدين وابن أبي الضياف وبيرم الخامس والأفغاني وفرح أنطون والشيخ عبده قد أسست بدرجات متفاوتة، وبالإفادة مرة من أدبيات الفكر السياسي في التراث العربي الإسلامي ومرة أخرى من أدبيات الفكر السياسي الأوروبي الحديث، لمفهوم الحداثة السياسية في تاريخ الفكر النهضوي العربي الحديث. فإذا كان الطهطاوي لم يستعمل مفهوم «العدل السياسي» كما جاء في «أقوم المسالك» لخير الدين، لكن مفهوم العدل الذي استعمله يعني في نهاية المطاف العدل السياسي. فما كتبه عن العدل في آخر مصنفاته، وحرصه على نشره سنة قبل وفاته كان بمثابة وصيته الفكرية، إذا أننا نقرأ في كتابه «المرشد الأمين للبنات والبنين» (نشر عام ١٨٧٢) ما يأتي:

«إنه (يعني العدل) أساس الجمعية التأنسية والعمران والتمدن، فهو أصل عمارة الممالك التي لا يتم حسن تدبيرها إلا به، وجميع ما عدا العدل من الفضائل متفرع عنه، وكالصفة من صفاته، وإنما يسمى باسم خاص الشفقة والمروءة، والتقوى، ومحبة الوطن، وخلوص القلب، وصفاء الباطن والكرم، وتهذيب الأخلاق والتواضع، وما ماثل ذلك، فهذه كلها نتائج العدل... فقد حسنه الشرع والطبع» (١٠).

وأود في نهاية هذه الملاحظة الإشارة إلى النقاط الآتية:

أ- إن حديث خير الدين عن «العدل السياسي»، وعن مراقبة برلمان منتخب لأعمال الحكومة، واحتسابه على الدولة؛ وكذلك حديثه عن الحريات العامة يسقط نظرية «المستبد العادل». ومن المعروف أن كلا من الطهطاوي والشيخ عبده من أنصار هذه

الـنـظـريـة(١١)، وهـي مـتـنـاقـصـة تمامـاً مـع مـفـهـوم الحداثـة السـيـاسـيـة بـاعـتـبـارهـا الأس المتين للـدولـة المدنية.

بالرغم مما تبدو عليه مقولة «المستبد العادل» من تجديد عصرئذ، فإنها تبقى مشدودة إلى الماضي، وإلى تراث الفكر السياسي للدولة السلطانية.

ب- إن أنصار التيار التنويري الذي يمثله الطهطاوي، ثم من بعده الشيخ عبده، وقد قادا معركة التجديد في مجالين خطيرين: المجال الديني والمجال السياسي، قد وجدوا أنفسهم بين المطرقة والسندان، مطرقة سلطة سياسية استبدادية متخلفة، وسندان المحافظين من شيوخ النقل الببغائي، أو بتعبير عبد الرحمن الكواكبي في كتابه «طبائع الاستبداد»: «مطرقة العلماء الغفل الأغبياء، وسندان الرؤساء القساة الجهلاء». وما أشبه الليلة بالبارحة رغم الفاصل الزمني الطويل، فأنصار الحداثة والتقدم في الوطن العربي يجدون أنفسهم اليوم بين مطرقة نظم سياسية قامعة ومتخلفة، وسندان موجة الردة والرداءة. ورغم التناقض الأساسي بين القوتين في جل الحالات، فإن تأثيرهما السلبي يصب في نهاية المطاف في مجرى واحد: مجرى التخلف، ومعاداة الدولة المدنية الحديثة بمؤسساتها الدستورية الحقيقية، وقيمها الحداثية، وقد برهنت جميع التجارب العربية المعاصرة أنه لا تقدم بدون إقامة هذه الدولة.

ج- طرح بعض المفكرين العرب المعاصرين السؤال التالي: لماذا ينتكس التنوير؟(١٢) وهو سؤال ينطلق دون ريب من محاولة فهم أسباب موجة الرداءة والضحول التي طغت على الفكر العربي الإسلامي في الربع الأخير من القرن الماضي. فلم تعرف مراحل تاريخ الفكر التنويري المختلفة، منذ الشيخ رفاعة إلى طه حسين، موجة الرداءة التي سيطرت على الفكر العربي المعاصر في جل الأقطار العربية. وأمَّل التنويريون أن تتحول الفضائيات العربية بعد تطور وسائل الاتصال الحديثة إلى منابر لفكر الاستنارة والتقدم، ولكنها بالعكس فقد تحولت في كثير من الحالات إلى منابر لنشر الفكر السطحي الرديء، أو الغيبي الأسطوري في المجالين الديني والثقافي، وإلى فرض الرأي الواحد، وتصنيم الحاكمين بأمرهم في المجال السياسي.

إن أسباب انتكاس التنوير متعددة ومتنوعة، دون ريب، ولكن السبب الجوهري يبقى في نظرنا غياب الدولة المدنية الحديثة القائمة على مؤسسات دستورية لا تتأثر بأهواء الحكام ومصالح بطانتهم. وقد بلغ الأمر في بعض الحالات العربية إلى غياب الدولة بالمعنى الحديث لتعوضها جماعات متنفذة سياسياً واقتصادياً أصبحت تتحكم في مصير شعوب بأسرها، وهُمش أصحاب الكفاية، وصمت أصحاب الأصوات الحرة لما عم الاختناق. فليس من باب الصدفة أن يكون التنويريون العرب المعاصرون القادرون على الاصداع برأيهم بجرأة، دون خوف من قطع الأرزاق والرقاب، هم أولئك الذين يعيشون في بلاد الهجرة. وقد فطن الكواكبي قبل قرن بالضبط العداوة بين المعرفة وأهلها من جهة، والنظم الاستبدادية من جهة أخرى - فالحرب بينهما دائمة ومستمرة، ذلك أن أصحاب الفكر يسعون إلى نشر المعرفة، وترسيخ أسس الفكر العقلاني التنويري، ويجتهد الجلاوزة

إلى إطفاء نوره – لما قال: «والغالب أن رجال الاستبداد يطاردون رجال العلم، وينكلون بهم، فالسعيد منهم من يتمكن من مهاجرة دياره، وهذا سبب أن كل الأنبياء العظام، عليهم الصلاة والسلام، وأكثر العلماء الأعلام، والأدباء النبلاء، تقلبوا في البلاد، وماتوا غرباء».

وأود القول في هذا الصدد، ونحن نحاول فهم أسباب انتكاس التنوير: إن الأخطر في راهن كثير من المجتمعات العربية ليس الانهيار، إنما تمويه الانهيار. وتجد السلطة في صفوف «المثقفين» من يتحدث عن التحديث والتقدم في مناخ تسيطر عليه الرداءة، والردة الفكرية والسياسية، ولا شك أن فقهاء الأحكام السلطانية، الذين برّروا الخلافة الوراثية ونظروا للإقطاع العسكري وللنظم الاستبدادية، أكثر حذراً وأشد حياء من هذه الفئة من «المثقفين» اللاهثين وراء الركب السلطاني.

ظنت النخب السياسية والفكرية التي خاضت معارك التحرر العربي أن الدولة الوطنية التي ستقوم غداة الاستقلال ستحقق حلم أجيال من التنويريين العرب في بناء الدولة المدنية الحديثة التي تسندها قوى مجتمع مدني ليبرالي حر، لكن سرعان ما خاب الأمل، وتحولت إلى دولة مملوكية قامعة، خاصة بعد أن مسكت بأزمّتها في حالات متعددة المؤسسة العسكرية، ونظم الحزب الواحد الشمولي، وبرز شعار «شر معروف أفضل من خير مظنون»، وتحول الركود إلى استقرار، أو ما أسماه زعماء النهضة بالأمس «بالجمود على الموجود»، وإذا كان ضرر الجمود في القرن التاسع عشر محدودا، فإن الركود يعني في عصر العولمة التقهقر والتهميش.

الهوامش :

١) راجع: رفاعة رافع الطهطاوي، الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٣، أنور لوقا، عودة رفاعة الطهطاوي، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة ١٩٩٧، جابر عصفور، هوامش على دفتر التنوير، المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء ١٩٩٤، ص ٢١ وما بعدها، أنور لوقا، رفاعة الطهطاوي وبورلماكي، حوليات الجامعة التونسية العدد ٤٦، تونس ٢٠٠٢،

Anouar Louca, *Voyageurs et ecrivains egyptiens en France au XIX siecle*, Paris, Didier, 1970.

وأود التلميح في هذا الصدد إلى أن تأثير نشر تخليص الابريز في تلخيص باريز لأول مرة في مطبعة بولاق بالقاهرة عام ١٨٣٤ قد تجاوز الحدود المصرية ليشمل أقطاراً عربية أخرى. فقد استشهد به خير الدين في كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، وقد نشر بتونس عام ١٨٦٧، كما استشهد به صديقه ومعاصر الطهطاوي المؤرخ التونسي الشيخ أحمد بن أبي الضياف (١٨٠٤–١٨٧٤) في كتابه الشهير إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، وقد طبع لأول مرة بتونس عام ١٩٦٣ لما تحدث عن «الملك المقيد بقانون» (ج١، ص ٣٢ وما بعدها) قائلاً: ومن أراد الاطلاع على عقد نفيس في هذا المعنى فعليه بمطالعة الفصل الثالث من المقالة الثالثة من تأليف الشيخ الألمعي الفاضل أبي محمد رفاعة بدوي رافع الطهطاوي المصري الذي ألفه في رحلته لباريس وسماه تخليص الابريز في تلخيص باريز، فإنه لخص فيه القانون الفرنساوي تلخيصاً حسنا بديعا يشهد له بالإنصاف وحدة الفكر قال فيه: (فلنذكره لك، وإن كان غالب ما فيه ليس في كتاب الله تعالى، ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتعرف كيف حكمت عقولهم بأن العدل والإنصاف من أسباب تعمير الممالك وراحة العباد، وكيف انقادت

الحكام والرعايا لذلك، حتى عمرت بلادهم، وكثرت معارفهم، وتراكم غناهم، وارتاحت قلوبهم، فلا تسمع فيهم من يشكو ظلماً أبداً، والعدل أساس العمران)، معقباً على نص الشيخ رفاعة قائلاً: «وقد رأينا مصداق ذلك بالمشاهدة، لما سافرنا لباريس مع المشير أبي العباس أحمد باي سنة ١٢٦٢» (١٨٤٦).

حرصت على الإشارة إلى علاقة تأثير رحلة الطهطاوي في رحلات كتاب آخرين من رواد حركات التنوير العربية، مثل خير الدين وابن أبي الضياف، لأن الهدف الأساسي من تعريف العرب والمسلمين بالآخر الغربي المتقدم من خلال نقل ما شاهدوه في رحلاتهم هو هدف سياسي، وأعني شرح الدساتير والقوانين التي تحد من الحكم المطلق، خلافاً لرحالة آخرين أرادوا التعريف بالوجه المشرق للتقدم في الغرب دون التركيز على الجانب السياسي.

٢) أنظر دراستنا: المفكر والسلطة في التراث العربي الإسلامي ضمن كتابنا: «دراسات في الفكر العربي الحديث»، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٩، ص ٢٤٥ وما بعدها.

٣) أنظر: محمد الحداد، الأفغاني، صفحات مجهولة من حياته، دار النبوغ، بيروت ١٩٩٧.

٤) راجع كتابه: المعلوم والمجهول، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٠٩، وقد أهداه إلى «قائد كتائب الحرية والأحرار» الأمير مصطفى فاضل باشا الشهير.

٥) راجع كتابيه: سر مملكة، مطبعة السلام، القاهرة ١٨٩٧، وغرائب المكتوبجي، نفس المطبعة ١٨٩٦.

٦) الشيخ عبده من المعجبين بالأميرة نازلي فاضل، وكان من رواد صالونها السياسي الفكري في القاهرة وتونس، ورأى أن خطأها الأساسي هو اهتمامها بالسياسة.

٧) خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٩٨، ص ٢١٩.

٨) ن.م.، ص ٢٢٠.

٩) من المعروف أن مقدمة ابن خلدون كانت من الكتب التراثية الأولى التي عمل رواد الإصلاح على طباعتها ونشرها، فقد نشرها الطهطاوي في القاهرة، وأفاد منها المصلحون التونسيون لنشر أفكارهم ضد الحكم المطلق. ومن أبرز فصول المقدمة التي سعوا إلى ترويجها «فصل في أن الظلم مؤذن بخراب العمران». وقد نقله، وعلق عليه ابن أبي الضياف في مقدمة كتاب «إتحاف أهل الزمان...»، سبق ذكره، ص ١٦ وما بعدها.

١٠) الطهطاوي، الأعمال الكاملة، سبق ذكره، ج٢، ص٤٧٧.

١١) نشر الشيخ عبده مقالاً في مجلة «المنار» بتاريخ ١٩٠٢/٧/٧ ينقد فيه آثار محمد علي في مصر نقداً عنيفا وعنوانه «إنما ينهض بالشرق مستبد عادل»، راجع دراسة أنور لوقا «رفاعة الطهطاوي وبور لماكي»، سبق ذكرها، هامش ٣٨.

وتحدث الأفغاني قبل تلميذه عن «الاستبداد المستنير» قال: «لا تحيا مصر، ولا يحيا الشرق بدوله وإمارته إلا إذا أتاح الله لكل منهما رجلاً قوياً عادلاً يحكمه بأهله على غير طريق التفرد بالقوة والسلطان».

١٢) انظر: جابر عصفور، هوامش على دفتر التنوير، سبق ذكره، ص ١٦٩ وما بعدها.

□

# الأوضاع العربية الراهنة واستشراف المستقبل القريب للوطن العربي *

السفير أديب علم الدين **

لا يختلف اثنان على تشخيص واقعنا العربي المريع الذي دفع بالكثيرين إلى الإحباط والقنوط. ومن أبرز سمات هذا الوضع: التشرذم والانقسام، والانكفاء على الذات، والانطواء على النفس، وتقمص شخصيات وأدوار وهمية.

كما إن الوطن العربي، وبالذات بعد زلزال العراق، دخل في حالة من انعدام الوزن، ويعاني من شلل أصاب جسده، فأصبح لا يحس بالضربات التي تنهال عليه من كل جانب، فأضاع البوصلة، لا بل يكاد أن يدخل غيبوبة الإرادة.

إن هذا الوضع المتردي والمزري الذي يقض مضاجعنا هذه الأيام، والمرشح إلى المزيد منه، أقله في المستقبل المنظور، ما هو إلا نتيجة ظروف وعوامل تعود جذورها إلى مطلع القرن الماضي، الذي شهد بدايات اليقظة والنهضة العربيتين بهدف تحقيق الاستقلال والوحدة في إطار مشروع قومي تبلور في شكل تيار أيديولوجي من ناحية، وحركة سياسية من ناحية أخرى.

لكن أحلام الاستقلال الناجز والوحدة سرعان ما اصطدمت بواقع توازن العلاقات الدولية. فقد تمكنت القوى الاستعمارية الغربية من فرض التجزئة على الوطن العربي عبر اتفاقية سايكس بيكو، مما أدى إلى تحويل النضال القومي العربي إلى نضال قطري، وبالتالي تم رسم إطار وأصول التسوية الفعلية للصراع مع الاستعمار الغربي والهيمنة الأجنبية، الذي مكّن الطبقات البرجوازية من استلام الحكم، على أساس القبول بصفقة الاستقلال من دون الوحدة، مع أن هذه الطبقات لم تتخل عن رفع هذا الشعار، وقد كان ثمن تلك الصفقة تمرير وعد بلفور.

ثم تطورت هذه التسوية تحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، فأبقت على الاستقلال دون الوحدة طبعاً، لكن بدون فلسطين هذه المرة، بحيث أرست الأسس ووضعت أصول التسوية المبكرة للصراع العربي الإسرائيلي الذي تحول إلى مشاريع تسوية سلمية تاهت في زواريبها الدول العربية ولا تزال.

ومن أجل فهم أعمق لأوضاعنا العربية الراهنة، خاصة

* ألقيت هذه المحاضرة في السفارة اللبنانية في عمّان، بدعوة من الرابطة الأردنية اللبنانية، بتاريخ ٢٠٠٣/٧/٨.

** سفير لبنان في الأردن.

أن الدول العربية تجد نفسها ولأول مرة في تاريخها أمام احتلال القوة الأعظم، الإمبراطورية الأمريكية ، لبلد أساس في منظومتها، العراق، في حين أن معظم الدول العربية الأخرى هي في حالة وضع اليد الأمريكية عليها، أو شبه وضع اليد، والبقية على القائمة الأمريكية.

ولفهم أعمق لهذه الأوضاع، لا بد لنا من إلقاء الضوء على هذه الإمبراطورية الأمريكية، كيف نشأت، ومتى حققت ذاتها، وما هي أهدافها العالمية عموما، والمتعلقة بمنطقتنا تحديداً، وكيفية تعامل النظام العربي مع الولايات المتحدة إلى أن غدت إمبراطورية، لأنه بدون هذا الفهم لا يمكن التحدث عن مستقبل الوطن العربي، وأنتم تعلمون مدى صعوبة الحديث عن المستقبل من حيث المبدا، فكيف إذا كان الحديث عن مستقبل منطقة أشبه بقطعة فسيفساء مشوهة الألوان والأحجام.

فأنا لا أدعي امتلاك رؤية واضحة للمستقبل، لكني سأحاول مستعيناً بالبحث الجاد المستند إلى الماضي والحاضر، وبالتحليل الموضوعي، أن ألقي الضوء على مفاصل ومفاتيح رئيسية لهذا المستقبل .

### أولاً : الولايات المتحدة الأمريكية : من قوة منعزلة إلى مشروع إمبراطورية وصولاً إلى إمبراطورية إمبريالية

لقد اختارت أمريكا في القرن التاسع عشر أن تتطور وتنمو مستقلة عن أوروبا بدون أن تتدخل في نزاعات القارة القديمة، غير أن هذه العزلة التي اقتصرت على المجالين الدبلوماسي والعسكري مكنتها في نهاية ذلك القرن من أن تصبح أقوى اقتصاد عالمي وأكثر الاقتصادات العالمية اكتفاء ذاتيا.

ومع إطلالة القرن العشرين بدأت أمريكا تخرج من عزلتها عبر تدخلات واحتلالات متواضعة في آسيا وأمريكا اللاتينية إلى أن كانت الحرب العالمية الأولى وشعور العالم بالحاجة إليها، فكادت أن تشكل مشروع إمبراطورية. لكن بعد انتهاء الحرب عادت واختارت العزلة من جديد، ورفضت المصادقة على معاهدة فرساي، ونأت بنفسها عن عصبة الأمم.

لكن مع اندلاع الحرب العالمية الثانية والهجوم الياباني على بيرل هاربر وإعلان ألمانيا الحرب على أمريكا ولأسباب موضوعية أمريكية، أخذت أمريكا موقعها المتناسب مع قدراتها الاقتصادية الكبيرة، إذ كان الناتج القومي الأمريكي عام ١٩٤٥ يساوي أكثر من نصف الإنتاج العالمي، فحددت مسار الحرب ونتائجها، ووزعت المغانم ، وأنشأت، بالتعاون مع القوى المنتصرة، الأمم المتحدة بمجلس أمن دولي يحفظ لها الأرجحية، إن لم يكن الهيمنة ، لو لم ينجح الاتحاد السوفيتي ببناء قوة عظمى منافسة.

لقد كانت أمريكا، من ١٩٥٠ إلى ١٩٦٥، بلد الديمقراطية وحرية التعبير، والتوسع في الحقوق الاجتماعية، والتضامن من أجل الحقوق المدنية . كانت بالنسبة للعالم غير الشيوعي إمبراطورية الخير، غير أن هيمنتها خلال السنوات ١٩٥٠ - ١٩٩٠ على القسم غير الشيوعي من العالم قربها من حالة الإمبراطورية، وقد مكنت الموارد الاقتصادية والعسكرية والأيديولوجية الهائلة لها آنذاك من امتلاك أبعاد القوة الإمبريالية.

بعد انتهاء الحرب الباردة، أتقنت الولايات المتحدة لعبة العودة إلى التوازن بين الأمم، وقامت بجهود مكثفة ومثمرة لنزع السلاح، ولم يبد عليها في السنوات الأولى الجنوح نحو الخيار الإمبريالي ... لكن مع الانهيار الكامل

للشيوعية ولمنظومتها، شعرت الولايات المتحدة بأنها القوة العسكرية الفريدة في وقت أخذت العولمة المالية تتسارع بشكل جنوني، مما قادها باتجاه الخيار الإمبريالي.

وأضيف بأن انهيار الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفييتي ومنظومته الاشتراكية قد أدى إلى تسارع في العلاقة التبعية بين الولايات المتحدة والمناطق الواقعة تحت نفوذها، فازداد العجز التجاري الأمريكي بين عامي ١٩٩٠ - ٢٠٠٠ من ١٠٠ مليار دولار إلى ٤٥٠ مليار دولار ، فاحتاجت أمريكا لتحقيق التوازن في حساباتها الخارجية إلى تدفق من الرساميل الأجنبية بالمقدار نفسه.

مع هذا فقد شهد العالم بعد انتهاء الحرب الباردة حقبة رومانسية افترضت قيامة جديدة للعالم، ودوراً مختلفاً للأمم المتحدة، وقد جرت فعلاً محاولات، لم تتكلل بالنجاح، لتوسيع مجلس الأمن الدولي وضم اليابان وألمانيا إلى نادي الأعضاء الدائمين، بالإضافة إلى قيام محاور أوروبية وآسيوية موازية لأمريكا تحفظ التوازن الدولي على نحو ما جرى في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

لكن الولايات المتحدة، التي حققت انتصاراً كاسحاً في حربها مع المعسكر السوفييتي وكرست نفسها قوة عظمى وحيدة في العالم، سرعان ما تجاوزت تلك الحقبة الرومانسية وبدأت تستخدم القوة أو تلوّح بها في وجه الخارجين على إرادتها، لا بل أخذت تسن قوانين بعيدة الصلة عن العالم وتراثه وتقاليده لدرجة أنها باتت دولة فوق القانون والعرف الدوليين.

وفي القرن الحادي والعشرين لم تعد الولايات المتحدة تستطيع أن تعيش على إنتاجها وحده بعد أن تراجعت قدراتها الاقتصادية كثيراً، فاضطرت إلى تحقيق زيادة كبيرة في قدرتها على الانتفاع على حساب الاقتصاد العالمي، مما فرض عليها أن تعمل سياسياً وعسكرياً للاحتفاظ بهيمنتها للإبقاء على مستواها المعيشي المرتفع.

وإذاً، بعد أن كان العالم يحتفل في التسعينات من القرن الماضي بأنه عالم بلا حدود وبأنه دخل عصر العولمة، نجحت أمريكا، بدلاً من ذلك، في تفتيته ثقافياً، وفي خلق رأسمالية «متأمركة» إلكترونية تتوجه إلى التأثير على لاوعي المجموعات الإنتاجية عبر دمج الرموز والصور والدلالات والمعتقدات الميثولوجية للثقافات المختلفة، بواسطة التلفزيون والانترنيت وغيرها من الوسائل، لتجعل من اللاوعي الميثولوجي بديلاً حقيقياً ملموساً عن الوعي الأيديولوجي في ظل الركود الاقتصادي الدولي، وما يعتريه من بطالة ترمي بأعداد كبيرة ومتزايدة من قوى الإنتاج البشرية خارج أسواق العمل.

كما إن هذه الرأسمالية أخذت تستعمل الأشكال التعبيرية التي تعيد استعارة النرجسية الحضارية المتجددة للبروتستانتية واليهودية، مما مكن اليمين المتطرف من السيطرة على أهم الأنظمة السياسية في العالم مستعيناً بالعنصرية الميثولوجية الدينية والعرقية، بدلاً من العقلانية الاقتصادية الرأسمالية.

إنّ تبوأ أمريكا موقع القطب العالمي الأوحد وممارستها سياسة انفرادية بأبعاد إمبريالية في علاقاتها الدولية على المستويين الثنائي والدولي، وامتلاكها أعتى قوة عسكرية عرفها العالم على امتداد تاريخه، شجعها على تحدي الحلفاء والأعداء على حد سواء، وعلى القيام

بمحاولات متكررة، ناجحة في أحيان كثيرة، لمصادرة مسؤوليات الأمم المتحدة، وتحديداً مجلس الأمن الدولي، وسلبه، رغماً عنه، البت بقضايا دولية، أو إرغامه، باستخدام وسائل الترهيب والترغيب، على اتخاذ القرارات التي تمليها عليه، وأهم هذه التصرفات :

- رفض واشنطن عام ١٩٩٧ التوقيع على معاهدة أوتاوا المتعلقة بالألغام ضد الأفراد.

- عدم انضمام الولايات المتحدة إلى الاتفاقية الدولية المتعلقة بإنشاء محكمة الجزاء الدولية ١٩٩٨ ، لا بل العمل على تفريغ الاتفاقية من مضمونها من خلال عقد «اتفاقيات جبرية» مع عشرات الدول لإعفاء رعاياها من ملاحقات المحكمة الجنائية.

- انسحاب واشنطن من بروتوكول كيوتو المتعلق بانبعاث غاز الكربون.

أما أهداف النظام الأمريكي العالمي، بعد أن لاحظنا أن القسم الأكبر من النشاط العسكري الأمريكي منذ ١١ أيلول/سبتمبر يتركز على العالم العربي والإسلامي تحت راية «الحرب ضد الإرهاب»، فهناك عوامل موضوعية للداخل الأمريكي، وأخرى تتعلق بإحكام سيطرتها على العالم تفسر هذا الاستهداف للدول العربية والإسلامية، وتصويرها بمثابة خطر استراتيجي للفترة المقبلة يهدد مصالحها وسياساتها. وأهم هذه العوامل تراجع الموارد الأمريكية في المجالات الأيدلوجية والاقتصادية والعسكرية.

أما لماذا تستسهل أمريكا استهداف الدول العربية والإسلامية ، فمرده إلى عدم وجود أي دولة في هذه المنطقة قوية بقدر كاف بسكانها أو بصناعتها أو بقوتها العسكرية. كما تعاني هذه الدول من ضعف عسكري معيب مع أن لديها احتياطياً هائلاً من البترول، وتفتقر إلى الوجود الفاعل لأي منها في اللعبة السياسية الداخلية الأمريكية، مما يجعل منها حقل التجربة المثالي الذي تستطيع أمريكا من خلاله تحقيق الانتصارات السهلة.

كما إن السياسة النفطية للولايات المتحدة التي تركز على العالم العربي - باعتبارها نتاج العلاقة الاقتصادية الجديدة لأمريكا مع دول العالم بعد أن أصبحت تستورد النفط بكميات كبيرة تبعاً لأنها إذا ما استمرت على الوتيرة الحالية لاستخراج النفط من آبارها فإن احتياطيها قد ينضب عام ٢٠١٠ - تفسر الانشغال الأمريكي الدائم بالبترول، مع أن الأمن النفطي الأمريكي بمأمن عن أية أحداث.

وفي إطار الاستراتيجية النفطية، فإن الطاقة التي تريد أمريكا السيطرة عليها هي ليست لسد حاجة الولايات المتحدة فقط، بل للتحكم بتوزيعها على جميع دول العالم. وهنا يمكن للجهد الأمريكي أن يبدو فعلاً إمبرياليا، مع أن أمريكا تدعي أنها تسعى لضمان أمن الإمدادات البترولية لحلفائها. غير أن الحقائق تبين أنها بسيطرتها على موارد الطاقة الضرورية لأوروبا واليابان، يُفتح المجال واسعاً لممارسة ضغط كبير عليها، ومستقبلاً على الصين، التي ستصبح من بين أكبر المستوردين بعد عقد من الزمن.

### ثانياً : النظام العربي وتحديات النظام الأمريكي

لقد تشكل النظام العربي بالمفهوم الحديث للكلمة مع قيام جامعة الدول العربية، بصفتها منظمة إقليمية ترعى شؤون الدول العربية المؤسِسة، وتلك التي انضمت

إليها لاحقاً بعد استقلالها عن الاستعمار الغربي .

ولم تكن الجامعة العربية من بين أوائل المنظمات الإقليمية التقدمية فحسب، بل تطورت إلى عقد الكثير من الاتفاقيات المهمة بين أعضائها، وفي مقدمتها اتفاقية الدفاع العربي المشترك والسوق العربية المشتركة، في وقت كانت أوروبا لا تزال تضع لبناتها الأولى في مشروع السوق الأوروبية المشتركة. وبينما نجد اليوم أوروبا بغربها وشرقها، بقديمها وجديدها، تكاد تنضوي تحت لواء الاتحاد الأوروبي بعملة موحدة وحدود مفتوحة، نجد الدول العربية، وبعد أكثر من نصف قرن من إنشاء جامعتها، حدودها مغلقة بعد أن كانت مفتوحة ، وبعضها يشارك الإمبراطورية الأمريكية في احتلال بعضها الآخر بعد أن كانت لا تتردد في تلبية النداء بالمشاركة بالرجال والمال، وتوظيف العلاقات الدبلوماسية دفاعاً عن كرامة دولة شقيقة وسيادتها.

وتوضيحاً للوضع الراهن، أعرض بإيجاز للتحديات الرئيسية التي تعرض لها النظام العربي على مدى تاريخه حتى اليوم:

### ١) زلزال ١٩٤٨ أو عام النكبة

لقد شكلت جريمة اغتصاب فلسطين أول تحد جدي للنظام العربي كاد يطيح به. فقد أقرت الأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ تحت ضغوط هائلة من الدول الغربية عموما، والولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً. وفي العام التالي، وبتواطؤ من بريطانيا الدولة المنتدبة على فلسطين، أُعلن قيام إسرائيل، فكانت الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى، التي انتهت باحتفاظ الجيوش العربية بنصف الأراضي التي كان قرار التقسيم قد خصصها للدولة العربية الفلسطينية.

### ٢) زلزال حرب ١٩٦٧ أو النكسة

كانت حرب ١٩٦٧ كارثة بكل ما تحمله الكلمة من معاني على النظام العربي وعلى مستقبل القضايا العربية. فقد تمكنت إسرائيل خلال أيام معدودة من هزيمة مصر واحتلال كامل سيناء، بما في ذلك قطاع غزة الفلسطيني الذي كان تحت إدارتها، وهزيمة الأردن واحتلال الضفة الغربية التي كانت جناحه الغربي، وبذلك أصبحت كل فلسطين التاريخية تحت الاحتلال الإسرائيلي، وهزيمة سوريا واحتلال الجولان بموقعه الاستراتيجي عسكرياً ومائيا.

إن تسارع أحداث هذه الحرب ونهايتها السريعة لم تترك مجالاً كافياً للنظام العربي للقيام بأي دور إيجابي لمنعها أو لتعديل نتائجها، فكان أن بذل جهوداً كبيرة لإزالة ما سمي بآثار العدوان، فكانت قمة الخرطوم التي أكدت على حيوية هذا النظام من خلال الدعم الدبلوماسي والعسكري والمالي الذي قدمته جميع الدول العربية القادرة للدول العربية الثلاث التي أُحتلت أراضيها، مما مكن هذه الدول من الصمود وإعادة بناء جيوشها، وساعد مصر على البدء بحرب الاستنزاف.

### ٣) حرب رمضان ١٩٧٣

خاضت مصر وسورية هذه الحرب لاستعادة أراضيها المحتلة بعد أن رفضت إسرائيل الانسحاب منها تنفيذاً للقرار ٢٤٢. وقد نجح الجيش المصري بعبور القناة وتدمير خط بارليف وتحرير أجزاء كبيرة من سيناء، كما نجح الجيش السوري باختراق الخطوط الإسرائيلية وتحرير معظم الجولان في الأيام الأولى للحرب. لكن

بالرغم من الثغرة التي حققها الجيش الإسرائيلي على الجبهة المصرية، بدعم أمريكي عسكري ولوجستي مباشر ، وبالرغم من تراجع الجيش السوري بعد أن حصل خلل في التنسيق بين مصر وسوريا ، فقد كان من الممكن لمصر وسوريا توظيف هذه النجاحات العسكرية في حلول سياسية أولها تطبيق القرار ٢٤٢. لكن الجانب المصري، «وبلعبة كيسنجرية»، وقّع اتفاق الكيلومتر ١٠١ لفصل القوات الذي شكل بداية التنازلات والتراجعات العربية الاستراتيجية.

٤) اتفاقية كامب ديفيد

الضربة شبه القاضية للنظام العربي كانت في قيام الرئيس المصري أنور السادات بزيارة القدس، ومن ثم توقيع سلام منفرد مع إسرائيل عام ١٩٧٨، مما أدى إلى انقسامات عربية عنيفة، والى خروج مصر من الجامعة العربية وخروج الجامعة نفسها من القاهرة إلى تونس.

٥) الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢

في ظل اهتزاز النظام العربي وترنّحه بعد خروج مصر من هذا النظام، قامت إسرائيل باجتياح أجزاء كبيرة من لبنان واحتلال عاصمته دون أن يستطيع النظام العربي أن يفعل شيئاً سوى تأمين انسحاب قوات منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان، وتوزيعها على عدد من الدول العربية البعيدة عن ميدان الصراع العربي الإسرائيلي، وتأمين خروج القيادة الفلسطينية، وتحديداً رئيسها ياسر عرفات سليماً.

٦) غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠

لا أبالغ حين أقول إن كارثة غزو العراق للكويت وانعكاساتها، وكيفية تعامل الدول العربية - بين رافض للغزو لدرجة التحالف مع الشيطان لدحره، وبين رافض له شرط معالجته في إطار البيت العربي، وبين مُنَظّرٍ يبحث له عن مبررات على خلفيات اتفاقيات سايكس بيكو - قد شكلت أخطر ما تعرض له النظام العربي وبعده الاستراتيجي. ففي تلك الحرب تم دفن ذلك البعد وهو لا يزال يلفظ أنفاسه، كما إن النظام نفسه كاد أن يدخل بما يشبه الغيبوبة ... وما الإبقاء على الحصار الظالم على العراق حتى احتلاله قبل أشهر إلا للتأكد من أنه لم يعد هناك أي خوف حقيقي من عودة الروح إليه، كما كاد أن يحصل أكثر من مرة، إن مع تحرير جنوب لبنان أو مع بداية انطلاقة انتفاضة الأقصى.

٧) اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٣

في غياب نظام عربي حي وأمام نظام مهمش وشكلي تحت مظلة عملية مدريد للسلام، عقدت منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٩٣ اتفاق أوسلو مع إسرائيل الذي اعترف بإسرائيل مقابل وعود لحل القضايا الأساسية بعد خمس سنوات. لكن هذا الاتفاق الكارثي لم يكتف بالاعتراف بإسرائيل، بل حوّل الأراضي المحتلة إلى أراض متنازع عليها، وانسحاب قوات الاحتلال إلى إعادة انتشارها، والمستوطنات، أو بالأحرى المستعمرات، من غير شرعية ، وفقاً لقرارات مجلس الأمن، إلى محل للتفاوض في المرحلة النهائية من الاتفاق. لم يحصل هذا الاتفاق خارج النظام العربي الصوري فحسب، بل خارج التنسيق بين دول الطوق المشاركة في عملية مدريد والتي كان يجتمع وزراء خارجيتها كل شهرين لتنسيق المواقف.

٨) اتفاقية وادي عربة بين الأردن وإسرائيل عام ١٩٩٤

بعد أن وقعت منظمة التحرير اتفاق أوسلو، وأنشأت سلطتها الوطنية على الضفة الغربية التي كانت جزءاً أساسيا من المملكة الأردنية حتى احتلالها عام ١٩٦٧، ولمّا كان الأردن قد سبق له أن فكّ ارتباطه بالضفة الغربية نتيجة القرار «القُطري» باعتبار المنظمة الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني، سرّع الأردن الخطى للمحافظة على ما تبقى من مصالحه القُطرية، ووقع اتفاقية وادي عربة التي تشكل ضربة أخرى في جسد النظام العربي.

## ٩) زلزال العراق – نيسان/إبريل ٢٠٠٣

لقد وقعت الحرب على العراق وتم احتلاله، ويجري وضع اليد عليه والتصرف فيه بعقلية ومخطط استعماريين، لكن بمفاهيم جديدة تلائم القرن الواحد والعشرين الأمريكي.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل كان بالإمكان تجنب هذه الحرب ؟ نعم لو لم تتجاوز الولايات المتحدة الأمريكية مجلس الأمن الدولي، وتركت لجان التفتيش تنجز أعمالها التي كانت قد أوشكت على الانتهاء. وخير دليل هو أن الحرب التي شنت تحت ذريعة امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل التي يمكن تفعيلها خلال ٤٥ دقيقة، والتي تشكل خطراً أمنيا على جيرانه والعالم بما فيه الولايات المتحدة، قد ثبت خلو العراق منها، إذ لم يستطع جيش الاحتلال الامريكي وأعوانه من بريطانيين ومتعددي الجنسيات العثور على أي دليل على امتلاك العراق لتلك الأسلحة.

نعم كان بالإمكان تجنب الحرب لو تخلى الدكتاتور الفريد من نوعه صدام حسين عن الحكم، إما بمغادرة البلاد مع حاشيته إلى أحد المنافي، أو بإعطاء الشعب العراقي الفرصة التي يستحقها منذ زمن طويل لاختيار نظام عصري ديمقراطي متصالح مع نفسه وجيرانه والمجتمع الدولي، مما ينزع الذرائع عن المخططات الأمريكية لاستعمار المنطقة.

نعم كان بالإمكان تجنب الحرب لو رفضت دول الجوار، خاصة العربية منها، الحرب فعلاً لا قولاً، وأغلقت حدودها البرية والبحرية والجوية أمام قوات الغزو لأن القوات الغازية انطلقت بالأساس من أراضي دول عربية، واستغلت أجواءها ومياهها الإقليمية في حشد قوات الغزو المتعددة الجنسيات لاحتلال الأراضي العراقية وإسقاط النظام«المحنط»، وتفريغ العراق من كل مقومات الدولة والوطن. فأمريكا لم تكن قادرة، أو على الأقل، كانت ستواجه بصعوبات وعقبات غير قابلة للتجاوز إلا بأثمان باهظة لتنفيذ مخططها ضد العراق وسيادته لولا المساندة الجيوستراتيجية والدعم اللوجستي الذي حصلت عليه من دول عربية، إضافة إلى تركيا وإيران، اعتقاداً منهما أن مصلحتهما القضاء نهائياً على ما تبقى من القوة العسكرية العراقية، وإخراجها من ميزان القوى في المنطقة.

لكن الحرب قد وقعت وتم احتلال العراق، ويجري، كما أسلفت، وضع اليد عليه والتصرف بماضيه وحاضره ومستقبله على مرأى من العالم أجمع، وبمشاركة عشرات الدول الأجنبية والعربية وبغطاء غير شفاف للأمم المتحدة عبر قرار مجلس الأمن الدولي ١٤٨٣ الذي أعطى شرعية للاحتلال عندما اعترف «بأن القوات المحتلة لها سلطة ومسؤولية وواجبات محدودة ...»، لا بل يضع القرار العراق تحت وصاية السلطة المحتلة إلى أجل غير محدد.

نعم وقعت الحرب، وتوضحت المعالم الحقيقية لأهدافها التي تختلف كلياً عمّا شهدت عليه قرارات مجلس الأمن الدولي وأروقته. فأهداف الإمبراطورية الأمريكية لا تقتصر على احتلال العراق ووضع اليد عليه، بل وضع اليد على كل المنطقة العربية، إضافة إلى إيران وتركيا. وما أن سقطت بغداد حتى بدأت الضغوط والتهديدات المبطنة حيناً والسافرة أحيانا تنهال على سوريا. ثم انتقلت تلك الضغوط والتهديدات إلى إيران بعد أن حققت الكثير من أهدافها على سوريا. والآن هدأت، إلى حين، التهديدات على إيران بعد أن حققت أهدافها المرحلية لتنتقل الضغوط إلى تركيا، الحليف التاريخي لأمريكا والشريك معها في حلف الأطلسي، عبر احتجاز مجموعة من العسكريين الأتراك بطريقة استفزازية ومهينة، مع أن هؤلاء العسكر هم في مهمة أمنية في العراق المحتل بموافقة أمريكية.

إن الضغوط الأمريكية على دول المنطقة، وتحديداً على سوريا، تأتي ضمن خطة أمريكية قديمة ومتجددة لتكريس وضع إسرائيل كدولة متفوقة بشكل كامل في هذه المنطقة، كدولة إقليمية كبرى، أو بالأصح إقليمية عظمى، لتحقيق مشروع إسرائيل الكبرى سياسياً واقتصادياً وثقافياً بعد أن ثبت عدم إمكان تحقيق هذا المشروع وعدم جدواه جغرافيا.

الحرب على العراق واحتلاله تعلن عن ميلاد عالم جديد لا يعرف أحد معالمه وملامحه، وهي أول حرب إمبراطورية إمبريالية في هذا القرن. إنها حرب استباقية لتجعل من العراق محمية بهدف السيطرة على النفط وإقامة قواعد عسكرية لغزو وإطاحة العديد من الأنظمة في الشرق الأوسط، بما فيها التي تعتبر حليفة لأمريكا، ولاستكمال السيطرة على أوروبا وآسيا. لكن الحملة العسكرية على أفغانستان كانت من طبيعة مختلفة ومقبولة عالمياً باعتبارها دفاعاً عن النفس، مع أنها مكنت أمريكا كذلك من نشر قواعدها العسكرية المتطورة في أفغانستان والباكستان ودول آسيا الوسطى، مما يجعلها على تماس مع الأمن الاستراتيجي لروسيا والصين.

### ١٠) القضية الفلسطينية وخريطة الطريق

بعد أن استفادت إسرائيل من كل التنازلات التي منحها إياها اتفاق أوسلو ووظفتها عربياً ودولياً باعتراف الكثير من الدول الأجنبية والعربية بها، وإقامة العديد منها علاقات دبلوماسية أو مكاتب تمثيل أو تنسيق أو غيرها، وصلت إلى استحقاق إعطاء الفلسطينيين القليل من الإيجابيات التي تضمنها اتفاق أوسلو. وبما أنها لا تريد ذلك ولا تريد السلام، قامت باجتياح الأراضي الواقعة تحت سيطرة السلطة الوطنية الفلسطينية، ودمرت منشآت السلطة وأجهزتها، واحتجزت، ولا تزال، رئيس السلطة ورمز الاتفاق، وبالتالي قضت على هذا الاتفاق... وكل ذلك بموافقة ودعم أمريكيين.

وبعد عمليات تسلية وصرف للأنظار عن حقيقة المخطط الإسرائيلي الأمريكي لتصفية القضية الوطنية للشعب الفلسطيني، عبر مبادرات مثل تقرير ميتشيل وتينت والرحلات المكوكية للمبعوثين الأمريكيين والأوروبيين، تم وضع ما يسمى بخارطة الطريق لإيجاد حل للقضية الفلسطينية بهدف قيام دولة فلسطينية بجانب إسرائيل في نهاية عام ٢٠٠٥.

إن حل القضية الفلسطينية لا يحتاج إلى خريطة طريق، وكذلك إعادة تحريك مسار التسوية السلمية للصراع

العربي الإسرائيلي. ما نحتاجه قرار أمريكي وإرادة أمريكية بالضغط على إسرائيل، صنيعتها والمستمرة بتمويل منها مادياً وبشرياً وحماية وتسليحاً، لتنفيذ القرارات والاتفاقات التي لم تقرها الشرعية الدولية فحسب، بل شاركت الولايات المتحدة في صياغة معظمها وتبنّيه.

إن خارطة الطريق، وهي نسخة معدلة ومنقحة لاتفاق أوسلو، تعني العودة إلى المربع الأول والانطلاق من نقطة الصفر لأنها وإن كانت تشير إلى مجموعة من القرارات الدولية، إلا أنها تتجاهل وتضع جانباً وعلى الهامش كل مشاريع الحلول ونتائج المؤتمرات السابقة وقرارات الأمم المتحدة ومبادئها.

غير أن نظرتنا التشكيكية بالخريطة ينبغي ألا تحول بيننا وبين التفكير في المستقبل وتحمل المسؤولية التاريخية بنوع من الواقعية والمنطق، فالواقعية السياسية تدعونا إلى مسايرة المواقف والظروف الدولية ومماشاتها، شرط عدم المساس بالثوابت والركائز الوطنية.

وتجدر الملاحظة إلى أن خريطة الطريق، التي جرى إعدادها في الفترة نفسها التي كانت أمريكا تحشد قواتها في المنطقة للانقضاض على العراق، لم تسمح أمريكا بإعلانها رسمياً إلا بعد احتلال العراق وتسليم المجتمع الدولي، بما فيه العربي والأمم المتحدة، بهذا الوضع. لكن في الوقت عينه ينبغي الإشارة إلى أنه ما كان للخريطة لأن تطرح لولا ضراوة المقاومة الفلسطينية وتضحياتها.

إن خريطة الطريق هذه ما هي إلا بداية لخريطة طريق شرق أوسطية لأن هناك توجهات ومداولات غير معلنة لتوسيع هذه الخريطة، أو إضافة ملحق لها يشمل سوريا ولبنان وباقي الدول العربية التي شاركت في قمة شرم الشيخ مع الرئيس الأمريكي جورج بوش.

إذاً، بعد هذا العرض للأحداث والتحديات التي أثخنت النظام العربي بالجراح البليغة وأفقدته، أو كادت، روحه ووعيه، ماذا بعد؟ هل بالإمكان إعادة الحياة لهذا النظام وأي نظام ؟ أو هل تريد الدول العربية نظاماً عربيا؟ ام تقبل بالنظام الأمريكي - الإسرائيلي للمنطقة، المسمى الشرق أوسطي، الذي سأتحدث عنه بقدر من الإسهاب ؟

### ثالثاً : النظام الشرق أوسطي

إن فكرة قيام شرق أوسط جديد ليست بجديدة، فقد تم طرحها عام ١٩٧٩ إثر توقيع اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل، وأعاد شيمون بيريز طرحها أكثر من مرة وتحديداً في كتابه **الشرق الاوسط الجديد**، كذلك فعلت جامعة هارفرد عبر دراسة بعنوان اقتصاديات السلام.

كما إن هذا المفهوم الذي كان يعني التعاون بين دول الشرق الأوسط العربية، بالإضافة إلى إسرائيل وتركيا وإيران، وإحلال علاقات التعاون والحوار محل علاقات الحرب والصراع، لم يلق قبولاً جماعياً، فدولتين عربيتين، لبنان وسوريا، بالإضافة الى إيران رفضت هذا التعاون لأنه يعني التطبيع والتعاون مع العدو. وقد تمثل هذا الرفض بعدم المشاركة في المفاوضات المتعددة الأطراف الخاصة باللاجئين والمياه والبيئة والأمن الإقليمي والتعاون الاقتصادي، وكذلك تمثل بعدم المشاركة في المؤتمر الاقتصادي لدول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في المغرب عام ١٩٩٤ والاردن ١٩٩٥ ومصر وقطر.

وبانتهاء التسعينيات انتهت الشرق أوسطية مؤقتاً ومعها المفاوضات الثنائية بين الإسرائيليين والفلسطينيين بعد أن وصلت إلى طريق مسدود في كامب ديفيد صيف ٢٠٠٠، وبعد أن تفجرت انتفاضة الاقصى، وما تبعها من اجتياحات إسرائيلية للأراضي الفلسطينية.

لكن بعد أقل من ثلاثة أعوام من الانتفاضة، وعامين من أحداث ١١ أيلول/سبتمبر في نيويورك وواشنطن، وثلاث حروب في أفغانستان والعراق والأراضي الفلسطينية، عاد الحديث مرة أخرى عن السلام في الشرق الأوسط من خلال انعقاد مؤتمرين للقمة في شرم الشيخ والعقبة بمشاركة الرئيس الأمريكي بوش ورعايته من أجل العراق، ومن أجل تطبيق خارطة الطريق. كما تم تنظيم المنتدى الاقتصادي العالمي استثنائياً في الأردن خلال حزيران الماضي، حيث كان الحضور والمشاركة «سحرياً» وكأن المجتمع الدولي كان ينتظر لحظة إعادة إطلاق الشرق أوسطية.

إن إعادة طرح هذا الموضوع بينما العرب في أشد حالات الفرقة والتشتت، خاصة بعد احتلال العراق وفي ظل غياب إرادة عربية واعية وأمام استهداف فج للنظام العربي الممثل بما تبقى من وجود معنوي لجامعة الدول العربية، لهو أمر في غاية الخطورة لأن هدف هذا النظام الشرق أوسطي هو تعزيز القيمة الاستراتيجية لإسرائيل، والمساهمة في إقامة إسرائيل العظمى اقتصادياً وسياسياً وثقافياً عبر انخراطها، وهي الأكثر تقدماً وتطوراً وقدرة مالية، في اقتصاد المنطقة للوصول إلى ثرواتها، وفتح الأسواق العربية أمام الانتاج الاسرائيلي.

فالنظام الإقليمي الشرق أوسطي يراد منه أن يكون البديل للنظام الإقليمي العربي، وإذا ما تحقق في ظل هذه الظروف والموازين غير المتكافئة، سيُلحق أفدح الأضرار والخسائر باقتصاديات العرب وأمنهم، وسيؤثر سلباً، بشكل لا يتصوره العقل، على الروابط القومية التي تربط شعوب المنطقة، مما يعرض الجميع لمستقبل مظلم يصعب الخروج منه.

إن هذا الفصل الجديد من مخطط الإمبراطورية الأمريكية، القاضي بتحقيق هذا النظام الشرق أوسطي لترسم بموجبه خريطة سياسية واقتصادية جديدة للمنطقة تلبي المتطلبات والمصالح والأهداف الامريكية والاسرائيلية المشتركة، قد يكون أخطر وأدهى من خريطة سايكس بيكو التي، على ما يبدو، قد استنفذت أغراضها وحققت أهدافها.

والأمر الخطير الآخر في موضوع النظام الشرق الأوسطي هو أن بعض العرب يروجون لفكرة أن هذا السيناريو الأمريكي - الذي أعلن عنه وزير الخارجية الأمريكي كولن باول قبل الحرب على العراق تحت عنوان إعادة تركيب الشرق الاوسط، وتخصيص مبلغ هزيل وقدره ثلاثون مليون دولار لتحقيق الديمقراطية، وبعد الحرب أعلن الرئيس الأمريكي بوش عن مشروع السوق المشتركة بين المنطقة وأمريكا - هو ليس شرقاً أوسطياً، بل سيناريو ديمقراطي تنموي، في حين أن السجل الأمريكي في قضية الديمقراطية، خاصة بالنسبة لمنطقتنا العربية، هو سجل ملتبس. فالديمقراطية بالنسبة لأمريكا هي وسيلة لا غاية، هي أداة لا قيمة، فإذا كانت ستحقق هدفاً أمريكياً ترحب بها، أما إذا كانت ستعيق مصالحها فهي مؤجلة.

### رابعاً : النظام العربي واستشراف المستقبل

سبقت الإشارة إلى المأزق الكبير الذي يواجهه النظام

العربي اليوم بعد احتلال العراق. فبعد أن واجه مآزق عديدة وتعامل معها عن طريق آلية تغيير، كما حدث بعد الحرب الأولى مع إسرائيل عام ١٩٤٨، وتمكن من الخروج بقدرة على الفعل لا يستهان بها، حتى أزمة حرب ١٩٦٧ التي تعامل معها بآلية إصلاحية وتمكن من الخروج منها بقدرة مقبولة على الفعل ، فإن التعامل وصل إلى قدرة محدودة جداً على الفعل بعد خروج مصر من الصف العربي، وأقل من محدودة على فعل أي شيء في الأزمات اللاحقة.

إن الأزمة الراهنة التي يمر بها النظام العربي هي في منتهى الصعوبة والتعقيد لأنها تضعه وللمرة الأولى وجهاً لوجه مع قيادة النظام العالمي مباشرة، مع الإمبراطورية الأمريكية ... بينما في الأزمات السابقة، التي مر بها من عام النكبة ٤٨ حتى غزو العراق للكويت ١٩٩٠، لم يكن مضطراً لمواجهة نظام القوة العظمى الأمريكي لوجود ثنائية القطبية ونظام القوة العظمى السوفييتي، مما كان يعطي الأمم المتحدة المجال والقدرة على إنقاذ النظام العربي من سقطات قاتلة.

إن النظام العربي من الناحية التحليلية والوظيفية يمكن أن يكون قد انتهى الآن بعد موافقة الدول العربية رسمياً وبأكثر من طريقة على القرار ١٤٨٣ الذي يقنن احتلال العراق ونهب ثرواته، كما أن بيان قمة شرم الشيخ الذي جمع الرئيس الأمريكي بوش بستة من القادة العرب قد ذكر بأن بالقرار «يعتبر أداة مفيدة لتحقيق أهداف» الرؤية العربية لمستقبل العراق.

وقبل المضي بالحديث عن النظام العربي وإمكانية إعادة الروح والحياة له، لا بد من إعادة رسم صورة الوضع الحالي في العراق والأراضي الفلسطينية المحتلة.

فالعراق قد تفككت وحدته الترابية باقتطاع الشمال للأكراد كمحمية أمريكية، والجنوب تحت إدارة بريطانية لحساب أمريكا، والوسط لمجموعة من الدول التي عانت من الوصاية السوفياتية وتجد نفسها الآن سعيدة تحت الوصاية الامريكية وبخدمتها. والشعب العراقي يجري تفتيته، وتقام كيانات لقوميات أقلية مثل الأكراد، بينما القومية العربية، وهي الأكثرية العظمى، يجري التعامل معها على أساس شيعة وسنة ، وعندما يتم الحديث عن الأديان يتم التركيز على المسيحيين، وحتى اليهود، أما الإسلام فلا ذكر له إلا عبر طوائفه.

أما ما يجري في فلسطين فهو مشروع يُحوّل القضية الفلسطينية من حقوق وطنية ثابتة غير قابلة للتصرف، مثل حق العودة وحق تقرير المصير، إلى مشروع دولة مقطعة الأوصال منقوصة السيادة ... إلى مشروع إسكاني متعدد الهوية والعنوان.

الإدارة الأمريكية الحالية متحمسة لهذا المخطط، والظروف والمعطيات الحالية تساعدها على ذلك. إلا أن النجاح يتوقف على تقبل دول المنطقة وشعوبها له. وقد سبق أن طرحت مشروعات سابقة وذهبت أدراج الرياح، فهل يلقى هذا المشروع المصير نفسه ؟

وقبل التحدث بالتفصيل عن كيفية مجابهة التحديات من أجل أن يكون للعرب مستقبل، أستذكر معكم ما رُوي عن بابا الكنيسة الكاثوليكية بولس السادس من أنه: ليس هناك سوى حلين لا ثالث لهما لقضية الشرق الاوسط، أولهما مجرد احتمال بعيد، لأنه يقوم على نوع من التدخل الإلهي ، وثانيهما أكثر بعداً ويتطلب حدوث معجزة، وهو توصل جميع الأطراف إلى اتفاق.

**وحتى يكون لنا مستقبل يجب توافر الشروط والظروف الموضوعية الآتية :**

١ـ يجب أن نصنع مستقبلنا بأنفسنا وفق خطة مدروسة استناداً إلى منهجية عقلانية، مع الأخذ بعين الاعتبار المعطيات والتوازنات الدولية في الوقت الراهن، وما ستؤول إليه بعد عقد أو أكثر من الزمن.

٢ـ ضرورة إجراء مراجعة عقلانية شاملة لمواقفنا وسياساتنا، وبالتالي القبول بالتعامل مع الواقع. لكن ينبغي الحذر من الاستسلام للواقع، فالفرق كبير وشاسع بين التعامل والاستسلام.

٣ـ تبني مشروع نهضوي حقيقي لأن المنطقة العربية في فوضى صارخة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً نتيجة الضغوط الهائلة التي تعرضت لها منذ عقود عدّة، والتي يدرجها البعض ضمن مخطط عدواني منهجي خطير جرى التصدي له بطريقة تفتقد إلى النهج العلمي والنفس الطويل والرؤية الاستراتيجية.

٤ـ جميع الأمم الحية خلال جميع العصور تبدأ نهضتها من الداخل التي تقوم على الجهد الذاتي والاستقلال الثقافي المنفتح على كل الثقافات، وعلى الاستقلال الاقتصادي الذي من دونه يصبح الاستقلال السياسي هيكلاً فارغاً وقالباً أجوفاً.

٥ـ وضع رؤية استراتيجية عربية موحدة لإيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية لأن خريطة الطريق لن تصل بالقضية الى الحل العادل. وإذا كان مبرراً غياب مثل هذه الاستراتيجية زمن الحرب الباردة وتوزع الدول العربية بين المعسكرين الأمريكي والسوفييتي، فكيف نفسر غياب مثل هذه الرؤية بعد انتهاء الحرب الباردة وتراكض جميع الدول العربية لخطب ود أمريكا قائدة العالم؟

٦ـ وجوب تحرير عقولنا من الاتكالية والغيبية، ومن عبودية التقليد الأعمى والنقل العشوائي، وعدم الوقوع في أسر المصطلحات الغربية. كما يجب الاحتكام إلى العقل وتفعيله بعد أن توقفت هذه العملية قبل ألف سنة.

٧ـ استعادة العرب للاكتفاء الذاتي لتحقيق الاستقرار في المنطقة، وذلك بإحساس العرب بالفخر تجاه لغتهم وإنتاجهم المحلي، وفي الوقت عينه على الغرب أن يتفهم ذلك ويساعدهم بالتخفيف من رغبته المحمومة لتصدير استعماره الثقافي.

**أما آلية تنفيذ هذه الرؤى والمبادئ فهي تحتاج إلى:**

١ـ إقامة المؤسسات الدستورية الدائمة والفصل بين السلطات الثلاث، وعدم تعديل الدستور وفقاً لأهواء الحاكم.

٢ـ اعتماد الديمقراطية عن قناعة بقدرتها على تحقيق المشاركة بين مختلف شرائح المجتمع.

٣ـ ممارسة حرية التعبير والعبادة والحريات الشخصية، على أنواعها التي أقرتها الأمم المتحدة، بشكل عملي وفعلي، لا إبقائها أسيرة الأبراج العاجية. والحرية تبدأ في المنزل مع تربية الطفل وإعطائه حق الاختيار وتكوين شخصيته. كذلك مساواة المرأة في الحقوق والواجبات، وتطوير قوانين الأحوال الشخصية لتلبية حاجات المجتمعات الحاضرة ، لا أن تبقى أسيرة قوانين كانت ملائمة لأزمان غابرة.

٤- تداول سلمي ومنتظم للسلطة التي ينتخبها الشعب عبر إجراء انتخابات حرة ونزيهة وممثلة لمختلف شرائح المجتمع. وهذا ينطبق على دول النظام الجمهوري وعلى حكومات دول الملكية الدستورية.

٥- إعادة تشكيل جامعة الدول العربية ، شكلاً ومضموناً، لأنه بدون إطار فاعل للعمل العربي المشترك لا مستقبل لأي نظام عربي.

إن مقومات النهوض قائمة وممكنة التحقيق خلال عقد او اثنين من الزمن، شرط أن تتبع الدول العربية الاستراتيجية الشاملة التي سبق الإشارة اليها، وبعد استيعاب تجارب الآخرين وفهمها، من اليابان إلى ألمانيا الغربية، ومن فيتنام إلى الجزائر، ومن لبنان إلى فلسطين.

قد يتساءل البعض: هل تسمح لنا أمريكا بمثل هذه النهضة ؟

وجوابي هو أن أمريكا لن تبقى سيدة العالم بدون منازع لزمن طويل. فالنظام العالمي سيتطور ويتشكل على شكل نظام معقد التوازن، تعيش في اطاره مجموعات من الأمم متكافئة، وإن كانت غير متساوية، حيث تستعيد روسيا مركزها الدولي، وتتبوأ اليابان الموقع نفسه، مع أنها تبدو صغيرة جداً على الخريطة في حين أن إنتاجها الصناعي يعادل إنتاج الولايات المتحدة، وتستطيع لو شاءت أن تبني خلال خمس عشرة سنة قوة عسكرية بتكنولوجيا منافسة لما تملكه أمريكا. كما أن أوروبا هي في طريقها إلى مزيد من التوحد تحت قيادة ثنائية ألمانية فرنسية، لكن قوتها الحقيقية متوقفة على انضمام بريطانيا اليها ... وكل ذلك دون أن ننسى الصين التي ستنهض دون أدنى شك بدور بارز على المسرح الدولي بعد عقد من الزمن.

علينا أن نعمل ونعمل، ونتوقف عن تحميل مسؤولية تخلفنا للخارج، فالتدخلات والضغوط الخارجية، لا بل الخطط والمؤامرات، هي في أساس العلاقات الدولية. علينا أن نثبت أننا نستحق مقعدنا في إدارة دفة العلاقات الدولية، فالعالم المتقدم يقدر ويُعلي الإنجاز والإبداع، والأفكار هي الدافع للتقدم المشبع بالمعرفة في العالم المتقدم، وهذا يفسر بروز آلاف العرب المبدعين في الدول المتقدمة، وغيابهم في مجتمعاتهم الأصلية.

يجب أن نعمل ونُقْدِم وأن لا نخاف لأننا لسنا وحدنا، فالعولمة والغزو الثقافي مشكلة عالمية. فحتى في أوروبا هناك استياء من «الأمركة»، لكنهم يعرفون على الأقل أنهم أسهموا بشكل ملموس في تلك الثقافة، أما العرب فلا يجدون مثل هذا العزاء لأن إسهامهم في الحضارة قد توقف منذ قرون ، وحاضرهم بات مغموراً بكل ما هو أمريكي، وهذا أمر خطير، فلنعمل على تغيير هذا الواقع المر.

وأعود وأقول يجب عدم الاستسلام: فالولايات المتحدة لا تملك استراتيجية إمبريالية، بل تصرفات إمبريالية، قد تتغير بتغير الإدارات السياسية، آخذين بعين الاعتبار النقاش والجدل الجاري داخل المجتمع الأمريكي نفسه بشأن السياسات الأمريكية الداخلية والخارجية، إضافة إلى تغير المعادلات الدولية، وهذه هي حتمية التاريخ.

□

عصف ذهنيّ *

# العراق ومستقبل المنطقة

أقام المنتدى هذا اللّقاء الخاص بمناسبة صدور مؤلّف سموّ الأمير الحسن في ذكرى رحيل فيصل الأوّل : المسألة العراقية [المنتدى؛ العدد (٢١١)؛ ص ٧-١٦]. وشارك فيه نخبةٌ من أعضائه وأصدقائه.

كان أوّل المتحدثين (أ. أديب علم الدين سفير الجمهورية اللبنانيّة في عمّان).

نتأمل اليوم ونتألم للمشهد العراقي بعد الزلزال الذي أحدثه الغزو الاميركي، مشهد يدفع إلى الاحباط والقنوط، مع أنه ليس أول زلزال تتعرض له المنطقة العربية، ولا يبدو في حاضر المنطقة وتجربتها المعاصرة ما يبشر بالانفراج القريب.

لقد وقعت بلاد الرافدين فريسة احتلال القوة الأعظم؛ احتلال شرعنته الأمم المتحدة بعد أن حُرمت الامبراطورية الأمريكية شرف الغزو باسم الأمم المتحدة، كما حصل عام ١٩٩١ في عملية عاصفة الصحراء. ويستمر المشهد حيث الحاكم الأمريكي المفاوض عن العراق في الداخل والخارج، والمتحكم في مصير شعبه ومستقبله يعين مجلساً عراقياً للحكم ليحيي بتركيبته العرقية والطائفية والمذهبية، مشروعات متخلفة ورجعية يفترض أن تكون من الماضي ... مشهد الغزو والاحتلال كانت جامعة الدول العربية قد اعتبرته عدواناً طالبت بوقفه وبانسحاب قواته فوراً، فإذا بها اليوم ترحب بالمجلس المعين، لا بل يرى بعضها أن انسحاب القوات المحتلة الآن يشكل خطراً على وحدة العراق، وقد يؤسس لمشروع فتنة وحرب أهلية.

العمليات العسكرية تنزل يومياً بقوات الاحتلال أشد الخسائر بالأرواح والمعدات؛ وعمليات تخريب أنابيب النفط والمنشآت الاقتصادية، والعمليات الإرهابية ضد سفارة الأردن ومقر بعثات الأمم المتحدة وبعض المراجع الشيعية في النجف قد تدخل العراق في المجهول.

هذا المشهد المأساوي، المرشح بكل أسف للمزيد من التعقيد والتردي، أقله في المستقبل المنظور، ما هو إلا نتيجة لعوامل وعواصف وأعاصير تعود جذورها إلى بدايات القرن العشرين. قرن شهد إضاءات اليقظة والنهضة العربية لمواجهة تحديات مصيرية ممثلة بوعد بلفور، بعد أن تم تقسيم المنطقة ووضعها تحت الانتداب

* اللقاء الشهريّ رقم (٢٠٠٢/٩)؛ بتاريخ ٢٠٠٣/٩/٢.

البريطاني والفرنسي وفقاً لاتفاقية سايكس بيكو وبغطاء من عصبة الامم .

وحتى نفهم هذا المشهد الأقرب الى فسيفساء مشوهة الألوان والأحجام ، لا بد من إجراء عملية تشريح لكيفية نشوء الدولة العراقية الحديثة ، ولمدى تأثيرها وتأثرها بالعوامل الآتية متلازمة :

١- النظام الدولي الذي بدأ بريطانياً ، ثم بريطانياً أمريكياً ، فثنائي القطبية إلى أن وصل الى التفرد الأمريكي الامبراطوري بعد انهيار الاتحاد السوفييتي.

٢- النظام العربي الذي بدأ بجامعة عربية طموحة ، وانتهى بما نحن عليه اليوم من ضياع .

٣- عصبة أمم ، فمنظمة الأمم المتحدة ، التي أمسكت بالملف العراقي، مباشرة وبصورة فاضحة، بعد غزو الكويت ، بحيث فرضت الحصار المدمر ، ونفذت عمليات تفتيش لا نهاية لها انتهكت سيادة العراق وكرامته، وقوّنَت «التصرف» بثرواته وبلقمة عيشه تحت غطاء شرعي ظالم .

ولمزيد من الاحاطة بالمشهد العراقي ، لا بد من التعرض لمراحل نشوء الدولة العراقية ، ولأهم الأحداث التي ساهمت في الوصول بالعراق لما هو عليه اليوم ، وكذلك للاهداف الأمريكية من عملية الغزو والاحتلال ، ولدور إسرائيل والصهيونية في كل ما جرى ويجري ، وأخيراً للحلول الممكنة لإخراج العراق والمنطقة من محنة مرشحة أن تتحول إلى صراع حضارات حقيقي .

## أولاً : نشوء الدولة العراقية ومراحل تطورها من نظام ملكي إلى جمهوري إلى دكتاتوري

بعد هزيمة الدولة العثمانية وتفككها، تمكنت بريطانيا من احتلال العراق عام ١٩١٧ وفرض الانتداب عليه بتفويض من عصبة الامم بحدود جغرافية كان النفط محورها، حيث ضمت المناطق الشمالية المتاخمة لتركيا بأكثريتها الكردية والغنية بثرواتها النفطية ، وامتدت جنوباً بمحاذاة إيران مروراً بالمناطق الغنية بالنفط حتى شط العرب ، الممر المائي المهم والمنفذ الوحيد للعراق على البحار ، إلاّ أن هذه الجغرافيا توقفت عند الكويت الغنية أيضاً بثرواتها النفطية .

لكن بعد أن اندلعت الثورة ضد قوات الاحتلال ، اضطرت بريطانيا إلى القبول بنوع من الاستقلال في ظل الانتداب، والى ترتيب استفتاء أسفر عن اختيار فيصل الأول ملكاً على العراق ، وعن إعلان الدولة العراقية عام ١٩٢١ . وقد سن النظام الملكي دستوراً عصرياً ، وشَرَعَ في عملية تنمية اقتصادية وديمقراطية ، وأبرم معاهدة مع بريطانيا أنهت الانتداب على العراق وأتاحت له الدخول في عصبة الأمم عام ١٩٣٣ ، مقابل منح بريطانيا امتياز حقول النفط في كركوك مع حق التنقيب عنه في المناطق الأخرى .

كما احتدم الصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي قامت الأحلاف والأحلاف المضادة، مثل الناتو ووارسو وبغداد ، التي فرضت على دول العالم أن تنتمي بشكل أو بآخر إلى أحد المعسكرين ، واغتصبت فلسطين ، وقع العدوان الثلاثي على مصر في ظل علاقات وثيقة بين العراق وبريطانيا وسياسة أمريكية ترمي إلى الحلول مكان بريطانيا في منطقة الشرق الاوسط . كل ذلك شجع القيادات العسكرية الشابة في بعض الدول العربية المهمة على الانقلاب على مؤسساتها واستلام الحكم. فقامت مجموعة من العسكريين يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ بانقلاب عسكري دموي ، أُعلن بنتيجة سقوط النظام الملكي وإعلان الجمهورية .

لكن هذا الانقلاب أو هذه الثورة، كما باتت تعرف ، التي بدأت معادية لبريطانيا وأمريكا وقريبة من الاتحاد السوفييتي ، سرعان ما غرقت في صراعات داخلية

وانقلابات عسكرية إلى أن تمكن حزب البعث من استلام الحكم والاستفراد بالسلطة . وقد شكلت هذه الأحداث وما رافقها من أعمال عنف وسفك دماء ، ضربة كبيرة للنظام العربي ، فساد التنافر والتناحر ، واستشرى التشرذم والانقسام .

ولم يمض الكثير من الوقت حتى تمكن صدام حسين من الامساك بالقرار الأول في حزب البعث ، الذي كان مهيمناً على كل مقدرات الدولة العراقية ، ومن ثم اختطاف الحزب والدولة والشروع في بناء نظام دكتاتوري لم يعرف التاريخ الحديث له مثيلاً ، نظام بقي حتى لحظة لفظ أنفاسه مسكوناً « بجنون العظمة ».

## ثانياً : أهم الأحداث التي ساهمت في الوصول إلى ما بات يعرف بالمسألة العراقية

### ا) حرب رمضان ١٩٧٣

لم يُستشر العراق في هذه الحرب ، مثل باقي الدول العربية ، لكنه لم يتوان عن تقديم المساعدات العسكرية ، أسوة ببعض الدول العربية ، مع أن تلك المساعدة وصلت في الوقت الذي كان السادات قد وافق فيه على وقف إطلاق النار وعلى المباشرة بمباحثات فصل القوات التي بدأت بالكيلومتر ١٠١ ، السيئ الذكر .

والعراق، الذي اعتبر حرب ١٩٧٣ «حرب تحريك» لا «حرب تحرير»، ابتعد عن مصر وخط السادات التصالحي مع أمريكا وإسرائيل ، لكنه لم يقترب من سوريا وخطها الممانع للسياسة الاميركية، وبالتالي ساهم في إضعاف النظام العربي .

### ب) إتفاقية كامب ديفيد

مع أن العراق كان من أشد الرافضين لاتفاقية كامب ديفيد ، ومن أكثر العاملين لعزل مصر السادات ونقل الجامعة العربية من القاهرة ، فقد كان أول العائدين إلى أحضان تلك السياسة بعد أن تورط في حربه المدمرة مع إيران .

### ج) الحرب العراقية الإيرانية

لقد رفعت الثورة الإيرانية الخمينية الكثير من الشعارات والرايات التي جاهدت في سبيلها ، وفي مقدمتها شعار تصدير الثورة. وطبيعي أن يكون العراق أول المعنيين والمتأثرين بذلك. فهناك صراعات وخلافات عميقة بين البلدين ، حدودية واجتماعية وثقافية، وهناك نصف شعب العراق على مذهب الشيعة، المذهب الرسمي لإيران.

أمام هذه الخلفية التاريخية وهذا الواقع المغامر للثورة الخمينية وللنظام العراقي في آن ، وفي ظل وضع مأزوم للسوفييت في أفغانستان ، شن العراق حرباً على إيران دامت أكثر من ثمان سنوات حرب دمرت قدرات البلدين، واستنزفت خزائن الدول العربية الخليجية التي دعمت العراق بالمال والسياسة. ومع أن معظم الدول العربية وقفت إلى جانب العراق ، فقد تفردت سوريا بالوقوف إلى جانب إيران من منطلقات استراتيجية، مما شكل ضربة قاسية للنظام العربي .

أما النظام الدولي فقد كان إلى جانب العراق ، فنصفه الغربي يريد إزالة خطر الجمهورية الاسلامية ، وأي خطر يهدد منابع النفط وطرق إمداداته، ونصفه الآخر كان حائراً بين الأموال التي يجنيها من مبيعات السلاح إلى العراق وموقف النظام البعثي المعادي للاسلاميين ، وبين نظام إسلامي يمكن أن يشكل خطراً على منطقة الخليج، البالغة الأهمية الاستراتيجية للامبراطورية الأمريكية.

### د) غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠

بعد أن تمكن العراق ، بدعم غير محدود من المعسكر

الغربي ومن معظم الدول العربية ، وبموافقة المعسكر الاشتراكي ، من إجبار ايران على وقف اطلاق النار، اعتبر صدام حسين نفسه منتصراً. لكن سرعان ما تبين له أن خزائنه فارغة والديون متراكمة عليه ، وأن من سهّل له النصر أو منع عنه الهزيمة أهدافه تتعدى وقف المد الخميني !! فاعتقد أن أفضل الطرق للخروج من المأزق القائم هو تغيير قوانين اللعبة. فقام بغزو الكويت في وقت كان النظام العربي في غرفة العناية الفائقة ، والاتحاد السوفييتي يحتضر، ومراسم دفنه يتم إعدادها وترتيبها وفقاً للبروتوكول الغربي. فكان لا بد أن يشكل غزو العراق للكويت كارثة قومية بانعكاساتها وتداعياتها، وكيفية تعامل الدول العربية معها .

لقد أعطى الغزو أمريكا فرصتها الذهبية لتحقيق النظام الدولي الجديد الذي كانت تضع اللمسات الأخيرة له، وهي تعد مراسم الدفن للاتحاد السوفياتي ولنظام القطبية الثنائية. فنظمت تحالفاً دوليا شاركت فيه معظم الدول العربية، مما شجع جنوب العراق المقموع على الانتفاضة، والشمال بأكثريته الكردية على إعلان الانفصال، بحيث لم يبق تحت سيطرة النظام سوى وسط العراق .

لكن أمريكا مع ذلك لم تسمح للنظام أن ينتصر على أعدائه ، فاقتطعت للأكراد منطقة حرة أكثر من حكم ذاتي وأقل من دولة مستقلة. وأبقت الحصار على كامل العراق تطميناً لأعدائه الإقليميين. وأخذ مجلس الامن الدولي يصدر القرار تلو الآخر ليحكم الحصار على الشعب العراقي ، فيما سمح للنظام أن يعيش سنوات من البذخ والغطرسة .

### هـ) زلزال العراق - نيسان / إبريل ٢٠٠٣

الحرب على العراق، واحتلاله ووضع اليد عليه، والتصرف به بعقلية ومخطط استعماريين ، لم تبدأ في العشرين من آذار وتنتهي عملياتها العسكرية الكبيرة في أيار، كما أعلن الرئيس الأمريكي بوش ، لأن هذه الفترة لم تكن سوى مرحلة متقدمة ضمن سلسلة مراحل بدأت مع غزو الكويت وتحريره حتى اليوم، وستستمر إلى أن تحقق الامبراطورية الأمريكية أهدافها في بناء نظام عالمي أمريكي مطعّم بأدوار هامشية للأمم المتحدة وللدول التابعة .

## ثالثاً : المسألة العراقية اليوم

أما كيف وصلت المسألة العراقية لما هي عليه اليوم؟ وكيف تعاملت الامبراطورية الأمريكية مع النظام الدولي ممثلاً بالامم المتحدة؟ وهل كان للنظام العربي أي دور أبعد من خدمة الأهداف الأمريكية؟ وما هي حقيقة هذه الأهداف والتناغم بين أمريكا والعراق؟.

### ١- من غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠ إلى غزو أمريكا للعراق عام ٢٠٠٣

كما أشرنا، فإن خطة الحرب على العراق قد وضعت بعد غزو الكويت وتحريره، إن لم تكن قبل عملية الغزو نفسها. وكانت تطبق فصولاً: حصاراً اقتصادياً، وعمليات قصف صاروخي ، وحظراً جوياً، وعمليات تفتيش عن أسلحة الدمار الشامل. والإطار القانوني لكل ما قامت به الولايات المتحدة كان جاهزاً عبر القرارات الصادرة عن مجلس الأمن الدولي ، تحت الفصل السابع الملزم للعراق، بعد الغزو مروراً بتحرير الكويت ووصولا الى احتلال العراق .

ويمكننا القول بأن القرار ١٤٤١ بتاريخ ٢٠٠٢/١١/٨، الذي حظي بإجماع دول مجلس الأمن بما في ذلك سوريا العضو العربي الوحيد في المجلس ، قد وضع العراق في حقيقة الأمر تحت الوصاية الدولية. قرار اعتبرته معظم دول المجلس ، وتحديداً فرنسا وروسيا ، محاولة أخيرة

ويائسة لحرمان الولايات المتحدة من فرصة شن الحرب ، في حين اعتبرته أمريكا، مدعومة من بريطانيا ، غطاء دولياً كافياً للحرب في حال لم يستسلم النظام العراقي ويرحل . وبقي النظام العراقي حتى الأيام الأخيرة لما قبل شن الحرب يمني النفس بأن الحرب لن تقع، وبأن تنازلاته المستمرة، ولو على حساب السيادة والكرامة ومصالح الشعب ، ستجنبه الكأس المرة .

أما قرارات الجامعة العربية الأخيرة ضد التهديدات الأمريكية التي لم تكن سوى قرارات إنشائية بامتياز، كسابقاتها ، فيعرف أصحابها أنها لن تغير في واقع الأمور شيئاً لأنه عندما تقدم رئيس دولة الإمارات بمبادرة لتجنب الحرب لم تجرؤ القمة على مناقشتها، ولا حتى على إدراجها على جدول الاعمال ، علماً بأن تلك المبادرة قد جاءت متأخرة جداً، وما كانت لتحول دون احتلال العراق حتى لو قبل بها صدام حسين .

## ٢ـ أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١

وفرت أحداث ١١ ايلول الإرهابية المرعبة التي هزت أمريكا والعالم الفرصة السانحة ، التي يبدو وكأن الولايات المتحدة كانت تنتظرها بفارغ الصبر لتضع خططها موضع التنفيذ . فقد ولدت فكرة الحرب على العراق من رحم تلك الأحداث، أو أقله، أفسحت تلك الأحداث المجال للخطة المعدة منذ سنوات لتعرف طريقها الى التنفيذ. وهي الخطة التي روج لها حوالي ثلاثين شخصية أمريكية يطلق عليهم اسم «المحافظون الجدد» ومعظمهم من اليهود .

## ٣ـ سقوط النظام العراقي واحتلال العراق

وبعد أن وقعت الحرب اجتمع وزراء خارجية الدول العربية، وتم الاتفاق على تحرك عاجل لعقد جلسة لمجلس الأمن الدولي لوقف العدوان، وإذا لم يتم ذلك، دعوة الجمعية العامة للغرض نفسه .

لكن سرعان ما تبين للدول العربية استحالة صدور أي قرار عن مجلس الأمن يوقف الحرب ويعيد الملف إلى المجلس ، ليس خوفاً من حق النقض الأمريكي أو البريطاني فحسب ، بل لعدم قدرة الدول العربية على تأمين موافقة العدد الكافي من الدول الاعضاء في المجلس لعقد الاجتماع بداية. كما تبين لاحقاً عدم القدرة على جمع الجمعية العامة للأمم المتحدة. فالجميع في إجازات قسرية... منظمة المؤتمر الاسلامي وعدم الانحياز.

لكن الولايات المتحدة عادت وسمحت لمجلس الأمن بالاجتماع في ٢٠٠٣/٣/٢٨ واصدار قرار يقتصر على تنظيم استمرار العمل ببرنامج النفط مقابل الغذاء للأمور الإنسانية. أما الغزو والحرب والتدمير واحتلال أراضي دولة عضو مؤسس في الأمم المتحدة وتهديد الأمن والسلام الدوليين ، فهي خارج اختصاص مجلس الأمن الدولي !

وبعد سقوط بغداد المسرحي في التاسع من نيسان ، واختفاء النظام ورُموزه ، وانهيار كل مقومات الدولة ، وانتشار عمليات السطو والنهب والفوضى أمام أعين قوات الاحتلال التي لم تحرك ساكناً لوقفها، وبعد إعلان الرئيس بوش انتهاء العمليات العسكرية الكبيرة ، أصدر مجلس الأمن الدولي القرار ١٤٨٣ الذي أضفى الشرعية على قوات الاحتلال التي باتت تعرف «بالسلطة» ، وفي الوقت نفسه .. «تعطّف» على الأمم المتحدة بإعطائها دوراً حيوياً للمساعدات الإنسانية وإعادة إعمار العراق .

أما جامعة الدول العربية، فإنها منذ سقوط بغداد لم تستطع أن تجتمع ، لا على مستوى القمة ولا حتى على مستوى وزراء الخارجية ، مستعيضة عن ذلك باجتماعين للجنة المتابعة والتحرك ، التي تضم نصف أعضاء المجلس،

لتتخذ توصيات شكلية لا جوهرية ، مثل عدم الاعتراف بمجلس الحكم الذي عينه الحاكم الأمريكي للعراق .

رابعاً: أهداف أمريكا من الحرب على العراق ، وهل كان بالإمكان تجنبها ؟

تنقسم الأهداف الأمريكية إلى أهداف معلنة وأخرى مضمرة أو سرية. والمعلنة تنقسم بدورها بين تلك التي تضمنتها قرارات مجلس الأمن الدولي، وأهمها القرار ١٤٤١ الذي وضع العراق تحت الوصاية الدولية بهيمنتها الأمريكية، وأساسها التفتيش على أسلحة الدمار الشامل، الذي تذرعت به أمريكا وبريطانيا لشن العدوان على العراق، ليتبين للعالم أجمع زيف هذه الذريعة بعد أن ثبت خلو العراق منها، أو على الاقل، عدم قدرته على استعمالها .

أما الأهداف المعلنة الأخرى، إن كان في إطار المناقشات التي جرت في مجلس الأمن الدولي أو في التصريحات الأمريكية للرئيس بوش ولكبار المسؤولين في الإدارة وخارجها ، فكانت تركز على :

- الخطر الأمني الذي يشكله العراق على جيرانه والعالم، بما في ذلك الولايات المتحدة ، وربط العراق بتنظيم القاعدة والإرهاب الدولي ليتبين لاحقاً لا زيف تلك الادعاءات فحسب ، بل تحول العراق إلى أرض خصبة للارهاب نتيجة احتلال أمريكا له .

- تحرير العراق وتغيير النظام الدكتاتوري ، والانعام على العراق بالديمقراطية الأمريكية وإعماره، غير أن الممارسات والتطورات على الساحة العراقية بدأت تفضح النوايا والسياسات الأمريكية. فقد طالعتنا الصحف الأمريكية مؤخراً بمقالات تتحدث عن حكم ذاتي للعراق تحت الهيمنة الأمريكية ، حتى أن الرئيس بوش قد أكد بعد عملية تفجير مقر بعثات الأمم المتحدة في بغداد: «لا تراجع عن هدف الحكم الذاتي والسلام في العراق».

- إعادة تركيب المنطقة وفقاً للنظام الشرق أوسطي الذي أخرجته أمريكا إلى العلن عام ١٩٧٩ إثر توقيع اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل ، وعقدت من أجله المؤتمرات الدولية بعد عملية مدريد ١٩٩١ ، وآخرها مؤتمر قمة دافوس في البحر الميت ٢٠٠٣ ، لإدخال إسرائيل في منظومة المنطقة وتكريس دورها المحوري في الاستراتيجية الأمريكية.

أما الأهداف المضمرة، فهي استكمال بناء النظام الدولي الجديد وفقاً لاستراتيجية الامبراطورية الأمريكية بأبعادها الإمبريالية ، بعد أن حققت عملية غزو أفغانستان واحتلالها القسم الأكبر من تلك الأهداف ، وضمان أمن إسرائيل الذي تعتبره أساس أمن أمريكا وأمن العالم ، واستكمال عملية الاستحواذ على النفط ، إنتاجاً وتصديراً وتوزيعاً .

أما بشأن إمكانية تجنب الحرب، فالجواب بالايجاب :

- لو لم يتم تجاوز مجلس الأمن الدولي وتهميش دور الأمم المتحدة وتشويه صورتها وهيبتها ،

- لو تنحى صدام حسين وجرى تغيير جوهري في بنية النظام العراقي وهيكليته قبل نهاية عام ٢٠٠٢ على أبعد تقدير ،

- لو وقفت الدول العربية وعملت ضد الحرب حقيقة لا كلاماً ،

لكن الحرب وقعت وتم احتلال العراق، ويجري، كما أسلفت، وضع اليد على مقدراته ، والتصرف بماضيه وحاضره ومستقبله على مرأى من العالم أجمع بمشاركة ومباركة معظم الدول الأجنبية والعربية ، وبغطاء غير شفاف للأمم المتحدة .

## خامساً : المسألة العراقية بين المقاومة والسياسة

قبل البحث في الحلول الممكنة للخروج من هذه الورطة والمأزق الذي قد يتحول الى مستنقع فحروب مدمرة للشعب العراقي وشعوب المنطقة وللعالم ، دعونا نتكلم قليلاً عن تعامل الشعب العراقي مع عملية الغزو والاحتلال. فقد سقطت على ما يبدو مقولة المهاتما غاندي :«لا يوجد شعب يفضل حكومة أجنبية جيدة على حكومته الوطنية حتى لو كانت سيئة»، أو على الأقل، أصبحت هذه المقولة في زمن العولمة الأمريكية مسألة اجتهاد. وإن لم يستقبل الشعب العراقي قوات الاحتلال بالورود والرياحين ، واكتفت مناطق الجنوب بالتعبير عن اغتباطها وفرحها بزوال كابوس النظام الاستبدادي ، فقد كان ذلك ممزوجاً بالخوف والقلق لما تبيته له أمريكا من مخططات جهنمية ، مع أنها زينت له شعارات التحرير والديمقراطية والإعمار والرخاء . وفي الوقت نفسه أخذت مناطق وسط العراق، بعد أيام قليلة من الدهشة والضياع لسقوط بغداد السحري ، تشهد عمليات مقاومة عسكرية، ولا أقول مقاومة ، لأن الظروف الموضوعية ، الداخلية والإقليمية والدولية ، غير متوفرة، أقله على المدى القريب، بالإضافة إلى أن المقاومة ليست عمليات عسكرية فحسب، رغم أهميتها ، بل هي قبل كل شيء مقاومة سياسية تديرها قيادة متكاملة وممثلة لمختلف شرائح المجتمع وفق برنامج سياسي يحظى بنوع من الإجماع الوطني. كانت المناطق الشمالية المعروفة بكردستان العراق هي وحدها التي استقبلت، بقياداتها وجماهيرها، قوات الإحتلال بالاحتفالات والرقص والأناشيد ، ولا أتوقع أي تغيير جوهري ، أقله في المستقبل المنظور ، على موقف الأكراد من السياسة الأمريكية في العراق والمنطقة.

### المقارنة بين احتلال العراق واحتلالات أمريكية اخرى

إن عملية الغزو الأمريكية للعراق هي واحدة من أكثر من مئتي عملية تدخل عسكرية أمريكية في العالم ، وواحدة من أصل ١٦ عملية تغيير للأنظمة، نجحت اثنتان منها بامتياز في ألمانيا واليابان، وفشلت بعضها فشلاً ذريعاً، مثل فيتنام.

لن أتحدث عن التجربة الألمانية لأن الثقافة الغربية واحدة والديانة المسيحية البروتستانتية واحدة في المانيا والولايات المتحدة، بل سأتحدث باختصار عن التجربة اليابانية علّنا نستفيد من إيجابياتها ، وعن التجربة الفيتنامية علّنا نتجنب سلبياتها.

١ـ لا يمكننا الاقتداء بالتجربة الفيتنامية لأن الظروف الموضوعية الداخلية غير متوفرة من النواحي الديمغرافية والمناخية والطبيعية ، إضافة الى أنه ليس عندنا هوشي منه أو الجنرال جياب ، والظروف الإقليمية غير مساعدة لعدم وجود دول مثل الصين وكوريا الشمالية ، والظروف الدولية قد تبدلت جذرياً لأنه لم يعد هناك اتحاد سوفييتي أو حرب باردة. إضافة الى كل هذا وذاك ، فقد انهزمت الولايات المتحدة عسكرياً في فيتنام وانتصرت المقاومة الفيتنامية وتحررت سايغون. لكن بعد ربع قرن من الانتصار الفيتنامي والهزيمة الأمريكية ، نجد الولايات المتحدة تتربع على عرش العالم ، بينما فيتنام دولة عالم ثالث بامتياز تسعى لاجتذاب الاستثمارات الاجنبية، والأمريكية تحديداً، للبدء بعملية تنمية اقتصادية طال انتظار الشعب الفيتنامي الفقير لها . إذاً ليس مهماً ان تنهزم أمريكا، بل المهم والأهم أن ننتصر نحن حتى لو حقق الخصم انتصاراً أكبر .

٢ـ أما التجربة اليابانية ، فجوهرها الاستسلام الفوري غير المشروط لليابان، وقيام القوات الأمريكية باحتلالها ليصبح القائد العسكري الأمريكي ماك آرثر الحاكم الفعلي لليابان ، الذي يعيد له البعض الفضل في النهضة اليابانية منذ الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ حتى يومنا هذا .

لكن الاحتلال الأمريكي لليابان انتهى رسمياً عام ١٩٥٢

مع بقاء الكثير من أكبر القواعد العسكرية الأمريكية في اليابان حتى يومنا هذا. وما كان ذلك ليتحقق بهذه السرعة لولا ظروف الحرب الكورية، وانتصار الثورة الشيوعية في الصين، وتبني الأمريكيين مبدأ محاربة الشيوعية أينما وجدت .

وتجدر الملاحظة أنه رغم الاحتلال الأمريكي لليابان ، فإن أمريكا لم تسع إلى إلغاء النظام الامبراطوري ، بل اكتفت بالتشجيع على دستور جديد أدخل تغييراً جوهرياً على دور الامبراطور الذي تحول إلى مجرد رمز للدولة بدون صلاحيات تنفيذية ، إذ باتت في يد حكومة برلمانية موالية لأمريكا.

أما في العراق، فالامبراطور كان «مزيفاً»، كما أن النظام كان «محنطاً»، إضافة إلى أن أمريكا لم تتح لنظام صدام حسين فرصة الاستسلام ، ولم تعط للقادة العسكريين العراقيين فرصة التفاوض على الاستسلام كما تقضي الأصول العسكرية . وقد استكمل المشهد بقيام الحاكم الأمريكي بحل الجيش العراقي ، في حين أن المؤسسات الأخرى إما ذابت مع ذوبان النظام ، أو أعادت قوات الاحتلال ترتيبها على شاكلة فسيفساء إثنية وطائفية ومذهبية .

إن الخيارات المعروضة أمام الشعب العراقي قليلة وأحلاها مر: فإما التسليم بالاحتلال المفتوح الذي قد يؤدي إلى تفجير الكيان السياسي أو تذويبه ، أو الحرب الأهلية التي قد تذهب بوحدته وكيانه ودولته . وما على العالم والدول العربية المجاورة خاصة إلا أن تبارك وجود سلطة الاحتلال ودورها.

## سادساً: موقف الشعب العراقي بتياراته الثلاثة من الوضع الحالي

- الأول يعتبر أنه من المبكر جداً اعتماد خيار المقاومة ، ويقف ضد المقاومة بكل ظواهرها وأشكالها ووسائلها . باختصار ، لا يعتبر هذا التيار قوات التحالف قوات احتلال، بل قوات حررته من النظام السابق ستغادر عندما تتحقق أهداف الغزو.

- والثاني يتمثل بالقوى والأطراف والشخصيات السياسية التي تقف ضد الاحتلال العسكري الأمريكي وترفض التعامل معه والمشاركة بخياراته ، لكنها في الوقت عينه ترفض المقاومة المسلحة، وتجد أن المقاومة السلمية المدنية تفتح الطريق أمام تطور ديمقراطي سلمي.

- أما الثالث، الذي ما زال سرياً ومجهول الهوية، فيقوم بعمليات عسكرية تستهدف قوات الاحتلال ، وتنسب له عمليات ضد منشآت اقتصادية وأخرى إرهابية ، غير أن معظم هذه العمليات ما زال يقتصر على مناطق بغداد ووسط العراق .

## سابعاً : مرحلة ما بعد الاحتلال واهداف الولايات المتحدة

يجب الإشارة إلى أن الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة العربية تكاد تكون ثابتة، أقله فيما يتعلق بالاستحواذ على النفط وضمان أمن إسرائيل ، وأن التغيير الذي نشهده منذ عشرات السنين هو في الأسلوب أكثر منه في المضمون بحيث يجري ضبط إيقاعه في ضوء المعادلات الدولية ، والهيمنة التدريجية للامبراطورية الأمريكية على النظام الدولي .

لكن مع ذلك يجب عدم الاستهانة بتحكم المجموعة المعروفة بالمحافظين الجدد بالإدارة الأمريكية الحالية. فهذه المجموعة، التي تضم تحالفاً غير مقدس للجماعات اليهودية اليمينية ولليمين الجمهوري وللأصوليين المسيحيين ، تعمل على تطبيق عقيدتها القائمة على منطق القوة والصفقات ، والحروب الوقائية والاستباقية ،

وثنائية الخير والشر ، وثلاثية المبشر الإلهي (بوش) والعسكري (رامسفيلد) والتاجر (تشيني) ، على مراحل مع توزيع مبرمج لأدوار قياداتها، بالإضافة إلى إيمانها بأن المجتمع الأمريكي هو مجتمع استيطان ومستوطنين ، مما يفسر التحالف العضوي لهذه الإدارة مع حكومة شارون الساعية لاجتثاث الشعب الفلسطيني وتهجيره عنوة من أرضه ، أو تحويله إلى مجموعات بشرية من الخدم والعبيد . كما تشكل هذه المجموعة خطراً مرعباً للمنطقة والعالم من خلال دعوة بعضها الى احتمال اللجوء إلى الضربة النووية الاستباقية .

وفيما يأتي أعرض لأهم الاهداف الأمريكية من دول المنطقة:

١- سوريا : الهدف الأمريكي بالنسبة لسوريا هو تغيير سياسة النظام لا تغيير النظام ذاته .

٢- إيران : السياسة الأمريكية تجاه إيران تهدف في جوهرها إلى تغيير النظام الجمهوري الإسلامي ، وعدم الاكتفاء بتغيير سياساته التي تبدل الكثير من مفاصلها ، من معاداة ومحاربة «الشيطان الأكبر» إلى سياسة المهادنة والتعاون .

٣- السعودية : المأزق الأمريكي يتمثل في أن تغيير سياسة النظام لا تفي بالحاجات الأمريكية ، وعملية تغيير النظام بأكمله قد تدخل السعودية في المجهول لعدم وجود البديل المناسب. فالمشكلة هي مع المجتمع السعودي الذي لم تترك أمريكا فرصة أو مناسبة لاستعدائه واهانته ، مما يتطلب إجراء تغييرات جوهرية وجذرية على مفاهيم المجتمع السعودي الدينية والثقافية والاجتماعية !

٤- تركيا : تعتبر أمريكا النظام التركي الحالي بثنائية المعسكر: الحليف الصادق الموالي بدون تحفظ لأمريكا منذ قيام الأتاتوركية ، وحزب العدالة والتنمية الاسلامي الجذور والنكهة ، والساعي بدون كلل لحجز مقعده في الاتحاد الأوروبي ، النظام الأنسب الذي تتمنى تعميمه كنموذج على دول المنطقة .

٥- فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي : لن تكتفي الولايات المتحدة بتثبيت المكاسب الاستراتيجية والأمنية التي حققتها إسرائيل نتيجة الحرب على العراق واحتلاله ، بل ستوسع تلك المكاسب لتشمل الاقتصاد ، عن طريق إشراك إسرائيل مباشرة وعبر الشركات المختلطة ، بهدف المساهمة في صناعة النفط وإعادة الإعمار لإخراج الاقتصاد الاسرائيلي من حالة الاختناق التي يمر بها منذ اندلاع الانتفاضة، وذلك مقدمة للتطبيع الكامل معها والاعتراف بها .

وأشير إلى أن الاستراتيجية الأمريكية لحل الصراع العربي الاسرائيلي وفقاً للمخطط الصهيوني حتى انتهاء الحرب الباردة وللمفهوم التوراتي بعدها ، ومع الإدارة الأمريكية الحالية المسكونة بمفاهيم المحافظين الجدد وأوهامهم، تحقق أهدافها على مراحل: عبر حرب عام ١٩٦٧ التي حولت الصراع من تحرير فلسطين إلى إزالة آثار العدوان ، وحرب ١٩٧٣ التي حولت الانسحاب من الأراضي العربية إلى عمليات فصل قوات ، فاتفاقيات ومعاهدات منفردة، وبعد احتلال العراق تتمثل «بخريطة طريق» لحل الصراع الفلسطيني الاسرائيلي تتعامل مع القضية الفلسطينية بوصفها مشكلة أمنية تتفاقم يوماً بعد يوم بسبب الحرب الأمريكية على الإرهاب . وهذه الخريطة لن تصل بالقضية الفلسطينية إلى الحل العادل، ولن تجلب إلى المنطقة السلام أو الاستقرار رغم الوعد الإلهي لبوش برؤية دولة فلسطينية إلى جانب إسرائيل عام ٢٠٠٥ .

### ثامناً : الحلول الممكنة للمسألة العراقية

لا بد من التشديد على ضرورة إحداث ثورة في العقل

العربي بالنسبة لكيفية التعامل مع التحديات بحيث ندخل المعارك والحروب لننتصر، لا لنزيل آثار العدوان؛ لننتصر، لا لنتفاوض على اتفاقيات فصل قوات؛ لننتصر، لا لنقاوم الاحتلال .

يجب أن نعمل للنصر، لا لهزيمة الخصم أو العدو ، حتى وإن حقق الخصم انتصاراً أكبر؛ أن نعمل للنصر بإزالة التخلف والجهل وبتحقيق تنمية بشرية إنسانية .

والحل الذي أتصوره، والذي لا يمكن أن يقوم على انسحاب أمريكي مشابه لما جرى في فيتنام ، ولا على تواجد أمريكي ، سياسي وعسكري وأمني ، كما حصل على ضوء التجربة اليابانية، هو الحل الممكن تحقيقه، ويتطلب:

**- بالدرجة الأولى**

تيقن أمريكا ، أنها في ورطة ومأزق في غاية التعقيد، واقتناعها، بأن شعوب هذه المنطقة تمتلك مخزوناً هائلاً من الحضارة والثقافة والعلم ، وأنها كما ساهمت في الماضي في بناء الحضارة الانسانية يمكن لها أن تساهم مستقبلاً ، شرط التعامل معها باحترام وتفهم لخصوصياتها الدينية والثقافية ، لا بوصم مجتمعاتها ودينها وثقافتها بالإرهاب .

**- وبالدرجة الثانية**

يتطلب الحل موقفاً عربياً عاقلاً وفاعلاً وجريئاً يقضي بإعادة الملف العراقي بأكمله إلى مجلس الأمن الدولي لاتخاذ قرار واضح ينهي الاحتلال رسمياً ، كما حصل في المعاهدة الأمريكية - اليابانية ، ويضع العراق في عهدة مجلس الأمن لمدة محددة يجري خلالها استفتاء عام على دستور عصري دائم يحدد شكل الحكم الديمقراطي ، وانتخابات حرة ونزيهة تنبثق عنها حكومة عراقية وطنية يمكنها أن تتفق مع الولايات المتحدة الأمريكية على جدولة انسحاب قواتها وعلى تنظيم التواجد العسكري الأمريكي بما لا يتعارض مع سيادة العراق ومصالحه الوطنية . وأن يتم تشكيل قوات دولية ، نصفها على الأقل قوات عربية وإسلامية، لحفظ الأمن والسلام في العراق ، وللإشراف على الانتخابات ، وعلى إعادة بناء المؤسسات والإعمار . وإذا ما اتخذت الدول العربية هذا الموقف ، أو على الأقل، الدول العربية المعنية مباشرة بالصراع العربي الإسرائيلي وبتداعيات زلزال العراق ، وهي لبنان وسوريا والأردن والسعودية ومصر ، فإنها ستجد إلى جانبها دولاً كبيرة ومؤثرة ، مثل فرنسا وألمانيا وروسيا والصين، والكثير من الدول الأخرى .

أما المحاولات الأمريكية الجارية هذه الأيام لاستصدار قرار جديد عن مجلس الأمن الدولي يشرعن الاحتلال الأمريكي المفتوح للعراق ، ويتيح لدول العالم ، بما في ذلك الكثير من الدول العربية والإسلامية ، الفرصة لإرسال قوات ترفع علم الأمم المتحدة، لكن تخضع للقيادة الأمريكية، لتخفف عبء حفظ الأمن والنظام عن سلطة الاحتلال ، فينبغي ألا تثني الدول العربية عن إيجاد حل لوضع العراق بعهدة مجلس الأمن ، بل يجب أن تكون حافزاً إضافياً لاستغلال الظروف الحرجة التي تمر بها قوات الاحتلال والإدارة الأمريكية المسكونة بهاجس الانتخابات القادمة لتحقيق المصالح العراقية والعربية.

قد يكون هذا الحل طموحاً جداً ، لكنه قابل للتحقيق إذا ما توفرت الإرادة والعزيمة. فعلى مدى قدرة الدول العربية على وضع هذا الحل موضع التنفيذ ، وعلى مدى صحوتها وقدرتها على تبني مشروع نهضوي حقيقي مبني على مراجعة نقدية شاملة وفق خطة مستقبلية بمنهجية عقلانية تحرر عقولنا من الاتكالية والغيبية ، وتقيم المؤسسات الدستورية الدائمة على أساس الحرية والديمقراطية والمشاركة الحقيقية، يتحدد مستقبل المنطقة التي إما أن تحفظ لنفسها موقعاً في المعادلات الدولية وفي مسار إنجازات الحضارة الانسانية ، وإما أن تصبح على هامش التاريخ .

**كان ثاني المتحدثين م. عصام الجلبي، عضو المنتدى.**
**وكـــان من بين مـــا جـاء في حديثـه مـــا يـأتي:**

العراق والنفط ربما أصبحتا كلمتين مترادفتين. فلا يذكر العراق، إلا ويذكر النفط، وعندما ندخل في الحديث عن النفط، يجب أن يكون العراق أحد محاوره الرئيسية . وربما كان قدر العراق هو أن يحتوي على كميات كبيرة من النفط لتحدد مصيره .

والسؤال كيف كان يمكن للعراق أن يكون لو لم يكن هناك نفط فيه؟ كيف سيكون العراق اليوم لو لم يعثر على النفط فيه؟ ولهذا أرجو أن تسامحوني لو عدت إلى الوراء بعض الشيء لأنني أعتقد أن للموضوع صلة بما حدث في سنوات سابقة وخلال القرن الماضي .

وعودة إلى أوائل القرن الماضي. كما تعلمون كان النفط آنذاك قد اكتشف في الولايات المتحدة بشكل أساسي، وفي منطقة أذربيجان ومناطق جنوب شرق آسيا بشكل محدود، ثم اكتشف في إيران. ويبدو أن الكثير من المختصين، خاصة من بريطانيا العظمى، كانوا يقومون بدراسات ومسوحات مكثفة اكتشفوا من خلالها كميات كبيرة من النفط في العراق. ولهذا بدأ الحوار وبدأ الصراع خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها. وكما تذكرون كان لشركة النفط التركية دور في ذلك ، وكانت بريطانيا وفرنسا فقط في اللعبة . وبعد انتهاء الحرب مباشرة، حدث أول لقاء بين رئيسي وزراء بريطانيا وفرنسا وفي الطريق من محطة فكتوريا تم الاتفاق على التبادل فيما بينهما ولاية الموصل تعود إلى العراق مقابل حصة من النفط إلى فرنسا، أي أن جغرافية العراق حددت من خلال منظور النفط. وفي عام ١٩٢٨، بعد سنوات مكثفة من المباحثات بين شركات النفط التابعة لأمريكا وبريطانيا وفرنسا وهولندا، بعد استبعاد ألمانيا والدولة العثمانية وايطاليا طبعاً، وبعد أن دخلت أمريكا بقوة في اللعبة النفطية، حددت خارطة الخط الأحمر لكي تقتسم الشركات ما يكتشف من نفط في المنطقة العربية باستثناء إيران والكويت ، ووضعت الكويت خارج الخط الأحمر. واكتشف النفط في الشهر العاشر من عام ١٩٢٨. وفي بداية الثلاثينيات بدأت عمليات مد أنابيب النفط عبر البحر المتوسط .وفي منتصف الثلاثينيات لعبت الصراعات السياسية والانقلابات العسكرية دورا مؤثرا في نظرة الشركات إلى العراق . وكان انقلاب بكر صدقي وأعقبه بعد فترة قصيرة حركة رشيد علي الكيلاني. وفي اعتقادي فإن بريطانيا وشركات النفط بدأت تعطي اهتماما أكبر لجهات ودول أخرى، خاصة بعد أن اكتشف النفط في المملكة العربية السعودية ومناطق أخرى، وكانت البحرين فقط تتمتع بتواجد النفط آنذاك . وفي الأربعينيات، بعد حرب فلسطين،كان الشارع العراقي يلعب دورا كبيرا في تأجيج الشعور ضد شركات النفط . وفي عام ١٩٥٨ حصلت ثورة عبد الكريم قاسم وأصبحت العراق جمهورية . ومن هناك كان لشركات النفط موقفها . وفي عام ١٩٦٠ أعلنت منظمة الأوبك من بغداد . وفي عام ١٩٦١ أصدر العراق قانون رقم (٨٠) لإعادة ٩٩,٥ من أراضي العراق إلى الدولة العراقية لأن الشركات لم تكن تستثمر هذه

الأراضي. وتم حصر ٠,٥٪ فقط من الأراضي التي كانت تستثمر من قبل الشركات بعد أن تم تأسيس ثلاث شركات رئيسية تمثل الحصص الأساسية للدول، وهي شركة نفط العراق والموصل والبصرة . وبدأ يلاحظ في الخمسينيات والستينيات أن التركيز في الإنتاج النفطي لم يكن على العراق، وإنما على السعودية وإيران . وكان تأميم النفط في عام ١٩٧٢، وامتدت عمليات التأميم من ١٩٧٢ إلى ١٩٧٥ . ثم كانت الحرب العراقية الإيرانية في عام ١٩٨٠ وامتدت ثماني سنوات وأصابت صناعة النفط العراقية بأضرار جمّة، فلم تسلم أي منشأة نفطية من الهجمات المباشرة، سواء كان ذلك بالطائرات أو بالصواريخ . ومع ذلك خرج العراق في ١٩٨٨ ولديه طاقات تفوق ما كانت عليه عندما دخل الحرب باستثناء طاقة إنتاج النفط الخام . وتوقفت طاقاته التصديرية، وتضاعفت طاقات تكرير البترول، وبنيت منشآت لتكرير الغاز، واستحدثت منافذ جديدة لتصدير النفط الخام وكان معظمها عبر خط البحر الأحمر .

وبعد غزو الكويت عام ١٩٩٠ كانت الطاقة الإنتاجية للعراق بحدود ٣،٥ مليون برميل يوميا. وفي ذلك الوقت أصيبت المنشآت النفطية بدمار أكبر مما أصابها خلال الحرب العراقية الإيرانية . فالدّمار كان شاملا . ثم أعقب ذلك ثورة شعبية في بعض المناطق، ما سمي بالانتفاضة، خاصة في المنطقة الجنوبية وفي المنطقة الشمالية.

نأتي إلى واقعنا الحالي . بلغت طاقة الإنتاج قبل الحرب الأخيرة ٢,٨ مليون برميل يوميا، وربما تصل إلى ٣ مليون برميل يوميا . وكانت طاقة التصفية بحدود (٦٠٠-٦٥٠) ألف برميل في اليوم . لماذا إذاً تعثرت عمليات التصدير؟ ولماذا يقوم العراق الآن باستيراد كمية كبيرة من احتياجاته الداخلية من البنزين والسولار والغاز السائل؟ لماذا لا تستطيع القوة المهيمنة على العراق في الوقت الحاضر أن تفعل ما فعله رجال من قبل لم تكن لهم أية مساعدة خارجية؟ ولم يكن هؤلاء الرجال يعملون من أجل صدام حسين . كانوا يعملون لإيمانهم بدورهم ولإيمانهم بوطنهم . ويبدو أن الوضع سيستمر كما هو عليه الحال لأشهر كثيرة قادمة. وسيعزى ذلك إلى مشاكل الكهرباء ومشاكل تتعلق بتفجير الأنابيب. لكن المحصلة النهائية أن العراق يستورد أكثر من نصف احتياجاته من المشتقات النفطية وسيستمر لفترة غير قصيرة. وقد تعثرت عمليات التصدير ولم يستطع العراق أن يصدر أي شيء، أو يضخ أي شيء عبر الشمال، وما صدره عبر الشمال لم يكن سوى ثلاثة ملايين برميل مخزنة من فترة قبل الحرب. ومنذ ٣/١٩ لغاية اليوم لم يستطع أن يضخ أي شيء، وربما فقط كميات محدودة جداً. وبالنسبة لنفط الجنوب والبصرة فيبلغ معدل الضخ بحدود ٤٥٠ ألف برميل في اليوم، أي أن العراق انخفضت طاقته الفعلية التصديرية حالياً من ٢،٢ مليون برميل يوميا إلى حوالي نصف مليون برميل يوميا . فكم هي خسارة العراق خلال هذه الفترة ؟ وكم هي خسارة العراق إلى نهاية هذه السنة ؟ وما هي التوقعات بالنسبة لصادرات النفط ؟

كثر الحديث عن الهدف من هذه الحرب، وكان شعار War for Oil هو الشعار الرئيسي الذي يحتج به المعارضون . وفي اعتقادي أنه ما زال الوقت مبكرا لنثبت هذه المقولة لأن أمريكا ما زالت لم تكشف عن أوراقها بشكل واضح بالنسبة لأهدافها في النفط . وقد اضطرت لأن تركز خلال الأشهر الماضية على عمليات إعادة التأهيل وإعادة البناء إلى ما كان عليه الوضع في آذار الماضي . وكنا قبل آذار نتحدث عن إعادة تأهيل الصناعة لما كانت عليه قبل التسعين . لكن هذا الموضوع

انتهى الآن، حيث أصبح الحديث عن إعادة التأهيل لما كنا عليه في آذار .

إن الكلفة المقدرة لإعادة تأهيل منشآت النفط فقط تبلغ أكثر من مليار ونصف دولار عدا خسارة العراق التصديرية . ولهذا تبرز خلال الفترة من هنا وهناك بعض الأفكار المتعلقة بالمستقبل، حيث أصبح البعض ينتقد الصناعة الوطنية ويدينها ويتهمها بالفشل، ونسي أن العراق دخل منذ عام ١٩٨٠ حتى الآن ثلاث حروب وحصار دام ١٢ سنة، ومع ذلك استطاع رجال النفط العراقيين أن يديموا الإنتاج والتصدير وعمليات التصفية والتوزيع بشيء من الجرأة والكفاءة اعترف به الأمريكان الذين يعملون الآن في العراق قبل غيرهم . إن الخسائر التي حدثت في صناعة النفط ترتبط بالوضع المتردي الذي أصاب هذه الصناعة. وهناك من يقول إن المبالغ المتوفرة لإعادة بناء العراق هي غير كافية، وبالتالي لا بد من اللجوء إلى مصادر أخرى، في حين لا يوجد أي مصدر في العراق غير النفط. فكيف نوفر المال للعراق؟

لا ننسى واقع العراق من حيث أن ٩٩,٥ ٪ من إيرادات النقد الأجنبي فيه كانت من النفط . وان كل حجر يبنى في العراق يعتمد على الدخل النفطي . ويتحدث البعض عن الخصخصة وتسليم أمور البلد المالية والاقتصادية الى جهة لا نعرف من تكون، أجنبية أم محلية. والشيء نفسه يقال بالنسبة لرهن النفط العراقي ومنح قروض مقابل رهن جزء منه.

أما فيما يتعلق بعمليات تطوير الطاقات العراقية، فإننا نعترف بأنه لا يمكن للعراقيين أن يقوموا بتطوير طاقات النفط العراقية وزيادة إنتاجها إلا من خلال التعاون مع جهات أجنبية. فلقد ابتعد العراق عن الساحة الدولية لسنوات، ولم تتوفر له التكنولوجيا الحديثة منذ الثمانينيات، هذا بالإضافة إلى احتياجاته المالية واحتياجاته البشرية . والنفط موضوع حساس بالنسبة للعراقيين، وفي اعتقادي أنه إذا ما أثير أي شيء يتعلق بنزع السيادة عن النفط العراقي، فستكون هناك ثورة شعبية عارمة . ولا أعتقد أن هناك فرداً عراقياً، رجلاً أو امرأةً، يمكن أن يتقبل فكرة نزع السيادة فيما يتعلق بالنفط العراقي .

أعود وأقول باختصار، رغم كل ما قيل عن النفط وعن الأهداف المتعلقة بهذه الحرب، إن صناعة النفط تضررت كثيراً، ويمكن أن تكون هي المفتاح لإعادة أعمار العراق لو أحسنت إدارتها. كما أقول إن قدر العراق حدد بالنفط، وجغرافية العراق حددت بالنفط، وربما مستقبل العراق أيضا . هذا ما وددت أن أقوله في المداخلة، وربما من خلال الأسئلة والأجوبة ومشاركة الآخرين نستطيع أن نضيف بعض الشيء .

**وبعد انتهاء العرضين اللذين قدمهما السيدان علم الدين والجلبي دار نقاش تناول الأمور التالية:**

- هل كان الهدف من الحرب نفط العراق؟ وهل كان العراق هو المستهدف بحد ذاته؟ أم كان الإقليم كمرتكز جديد للولايات المتحدة في سياستها الكونية الجديدة؟ هل المسألة ذات صلة بالاستراتيجية الكونية الأمريكية؟

- لماذا اختير العراق؟ لماذا لم تختر سوريا المجاورة لإسرائيل؟ هل كان ذلك لئلا تفتضح الأسباب الأساسية؟ لماذا لم تختر السعودية؟هل كان ذلك لابعاد الشبهة عن أن الحرب كانت مسيحية ضد الإسلام؟

- هناك حلول مختلفة مقترحة للوضع. لماذا لم يتم تنفيذ أي من هذه الحلول؟

- السياسة الأمريكية في المنطقة متخبطة وليست واضحة. فمرة يتحدثون عن أسلحة الدمار الشامل، وأخرى عن القنبلة الذرية، ومرة عن النفط، وأخرى عن حماية إسرائيل، ثم يتحدثون عن حماية أصدقائهم في المنطقة، وعن إعادة بناء المجتمع العراقي ومنحه الديمقراطية.

- الواضح في السياسة الأمريكية أن حربها ضد الإرهاب هي في الحقيقة حرب ضد الإسلام، والتطرف الإسلامي يعزز ذلك ويعطي المبررات القوية له. إن الأمر الأساسي هو السيطرة وكبح هذا المارد (الإسلام) الذي بدأ يخرج من القمقم.

- ان احتلال أمريكا لأفغانستان والعراق لم يكن صدفة، وهناك دلائل قوية جدا على ذلك. فقد حاصر هذا الاحتلال إيران، وضمن عملية التفاوض على أي نفط يمكن أن ينشأ في بحر قزوين، وجعل أمريكا على حدود الصين، وعزل روسيا كلياً عن المنطقة، كما أضعف الموقف العربي الداخلي.

- إن النفط هو أحد المحاور والمرتكزات الرئيسية ضمن الاستراتيجية الأمريكية للمنطقة ولسياستها الكونية.

- إن الهدف الاستراتيجي الأبعد للحرب على العراق هو البقاء فيه من قبل الأمريكان وتقليص، إن لم يكن إنهاء، تواجدهم في السعودية. وهناك احتمالات أن السياسة الأمريكية بدأت تعتمد على تغيير تواجد أمريكا، حتى في أوروبا، وانتقالها إلى هذه المناطق.

- إن صيغة الحكم التي فرضت على العراق هي صيغة مؤقتة، بما في ذلك الشخصيات التي فرضت. فهذه الشخصيات لا وجود لها، ولا نفوذ لها، ولا تأييد لها داخل العراق، وهي تمثل عدداً من الأصحاب والأصدقاء، باستثناء الذين جاءوا من الأحزاب الكردية والأحزاب الشيعية التي لها تواجدها على الأرض العراقية.

- تم خلال الأشهر الأخيرة تثبيت النعرة الطائفية والمذهبية التي بدأت تظهر على السطح خلال العقدين الأخيرين، في حين لم يكن لها وجود ملموس قبل ذلك.

- تعرضت الصناعة النفطية إلى خسائر كبيرة في الحرب. فلم يحم الأمريكان النفط، وإنما حموا مبنى وزارة النفط فقط، أما الصناعة النفطية فقد تعرضت في مختلف أرجاء العراق إلى عمليات نهب وسرقة، وما تم الحفاظ عليه كان بمبادرات شخصية من الناس العاملين، مثلما حصل في مصفاة دورا ومصفاة البصرة.

- هناك حملة ضد الكوادر البشرية. فقد فصل بقرار سريع حوالي ٢٧٠٠ أستاذ جامعي منهم ٧٠ بروفيسورا، وغالبيتهم الآن يبحثون عن عمل في عمّان. كما فصل حوالي ٤٠٠ موظف في وزارة النفط وغيرهم في وزارة الصناعة والوزارات الأخرى.

- افترضت خطة وضعها الأمريكان ووزارة النفط العراقية الحالية مبلغ ١,٥ بليون دولار لإعادة البناء كما كان عليه قبل ستة شهور. وإذا أضيف لذلك إعادة البناء كما كان في عام ١٩٩٠، فإن المبلغ يصبح حوالي خمسة بلايين دولار، وذلك إذا توقف التدمير والتخريب وعاد الاستقرار وتوافرت الكوادر والإدارات التي تستطيع العمل بالشكل المطلوب. لكن المواطن والموظف الآن لا يأتمن على حاله حتى في حالة خروجه للعمل، فلا توجد

وسائط نقل لنقله آمنا لعمله، وإذا ذهب لمحله فلا يوجد من يحميه، ولا توجد لديه وسائل اتصالات لو حدث له مكروه، فمع من يتصل؟ وفي منزله لا توجد كهرباء، ومنزله ما زال عرضة للسرقة والنهب.

- إن الأصابع الإسرائيلية موجودة في العراق. وقد قال شمعون بيريز قبل سنوات إن المشكلة ليست القنبلة النووية العراقية، وإنما العلماء العراقيون القادرون على إنشائها الذين يجب أن يستثنوا. وهناك دعوة لاجتثاثهم.

- ان انتصار الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية أعطاها دوراً عالمياً قوياً وجعلها تمسك بالقرار الدولي. ولم تتوقع من الاتحاد السوفييتي أن يصبح قوة منافسة، حيث برزت الحرب الباردة وكان الصراع بين القوتين الأعظم سجالاً وكانت الأحلاف الى أن انتهت الحرب الباردة بتفكيك الاتحاد السوفييتي وانهيار منظومة الدول الاشتراكية. وبذلك أصبحت الفرصة مواتية للولايات المتحدة للإمساك بكل مفاصل النظام الدولي ليكون نظاماً دولياً أمريكياً. ثم جاء غزو العراق للكويت وعملية تحرير الكويت بذلك التحالف الذي أوجدته أمريكا، مما هيأ لها الفرصة الذهبية لصياغة النظام العالمي الدولي الجديد بهيمنة كاملة أمريكية. ثم كانت أحداث ١١ أيلول/سبتمبر هي الفرصة التي انتظرتها الولايات المتحدة بفارغ الصبر. فقامت بغزو أفغانستان الذي حقق لها مكاسب استراتيجية لا تعد ولا تحصى، ووضعها على خطوط تماس مع الصين ومع روسيا ومع كل الدول السابقة للاتحاد السوفييتي، وكذلك مع الباكستان والهند. وأصبحت الباكستان نوعاً من المحمية بسبب حرب أفغانستان، وأصبحت الهند في وضع لا تستطيع فيه أن تقول «لا» للولايات المتحدة، وكان آخر مثال على ذلك أن الهند تريد المشاركة في قوات متعددة الجنسيات في العراق تحت الراية الأمريكية وجعلت مخرجها لذلك اتخاذ قرار من مجلس الأمن الدولي. ومن هنا فإن العملية الاستراتيجية الأمريكية هي عملية مستمرة ومتراكمة ومتصاعدة. وكانت الحرب على العراق واحتلاله مرحلة لوضع اليد ليس على العراق فحسب، بل على كامل المنطقة العربية والتصرف بمقدراتها وثرواتها. وهكذا فإن الأهداف الأمريكية تشمل العراق والمنطقة العربية بأسرها، بل والشرق الأوسط بكامله وكذلك أوروبا. فأمريكا تريد تحجيم دور أوروبا لأنها تتعرض لتحديات اقتصادية كبيرة من أوروبا واليابان ومستقبلاً من الصين. ولهذه الأسباب فإن أمريكا تعمل للامساك بكل مفاصل السياسة الدولية.

- صحيح أن النفط لم يكن هو الهدف الوحيد للحرب على العراق.لكن أمريكا أرادت من احتلالها للعراق أن تسيطر على كل منابع النفط وإمداداته، وأن لا تكون تحت رحمة أي نظام قد يرفض مدها بالنفط أو لا يقبل السعر. وهكذا فهي تريد أن تتحكم بالكامل بإمدادات النفط وأسعاره، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا عن طريق الإمساك المباشر.

- يجب أن نركز ونعمل للوصول إلى حل جذري. ومن المهم أن نتفاهم مع أمريكا ونقنعها بأننا راغبون في الحفاظ على مصالحها لكن ليس على حساب كرامتنا ومصالحنا وحقوقنا. وإخراج أمريكا ذليلة من المنطقة، وإن أمكن، لن يكون في مصلحتنا لأنها لن تخرج قبل أن تدمر المنطقة وتعيدها وإيانا الى القرون الوسطى.

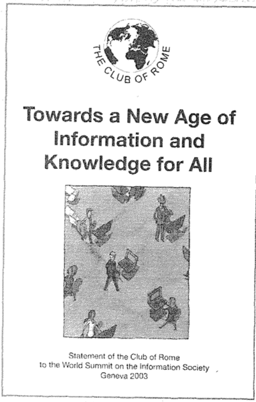
- لا يمكن هزيمة أمريكا عسكرياً في العراق. لكن المقاومة والقتال في الشوارع لهما دور أساسي، وذلك كما حصل في فيتنام.

- من المفيد أن لا تحل القضية العراقية بمعزل عن القضية الفلسطينية؛ فهناك ترابط بين ما يجري من تطورات في البلدين. □

-١-

### بيان نادي روما إلى القمّة العالميّة حول مجتمع المعرفة؛ جنيف؛ ٢٠٠٣

# نحو عصر معلومات جديد ومعرفة للجميع *






* التّرجمة العربيّة : مركز اللّغات/الجامعة الأردنيّة؛ بإشراف أ.د. أحمد مجدوبة. المراجعة والتّدقيق: أ.د. هُمام غَصيب (رئيس التّحرير).

## تقـــديم

يشكّل ظهور مجتمع شبكة المعرفة في السّنوات العشرين إلى الثّلاثين القادمة تحوّلاً بارزاً عن النّموذج الصّناعيّ للقرنيْن التّاسعَ عشرَ والعشرين. وسيكون لهذه النّقلة أهمّيّة قصوى في إتاحة فرص جديدة للتّعليم والانخراط الاجتماعيّ، ولاستغلال أمثلَ للمصادر. وستكون تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات أدوات هذا التّحوّل الفاعلة. هي «أدوات تنمويّة»، لا «مكافأة تنمويّة». لها إمكانيّة تمكين بلايين النّاس، وتحقيق تنمية مستدامة، وتعزيز الكرامة الإنسانيّة. كما تستطيع تيسير التّعلّم للناس أو بواسطتهم حتّى في المناطق النّائية، وتحسين الرّعاية الصّحّيّة، والقضاء على الفقر، وتمكين النّساء، وبناء مجتمعات مستدامة. وتستطيع مساعدة النّاس على التّعبير عن ذاتهم، وخلْق معارفَ جديدة وتنوّع ثقافيّ، وتحقيق نموّ اقتصاديّ متواصل ومستدام. ويجب أن توجّه صوب أهداف التّنمية العالميّة المستدامة.

لقد بدأ القلق حول تدهور بيئة الأرض يتزايد منذ السّبعينيّات من القرن العشرين حين كان الحوار يدور حول التّقرير الأوّل الذي جاء بتكليفٍ من نادي روما، «محدّدات النّموّ»، ومن بعده في مؤتمر الأرض المنعقد في ريو عام ١٩٩٢. وفي التّسعينيّات من ذلك القرن ارتفعت تحدّيات الفقر والحاكميّة إلى قمّة الأجندة السّياسيّة. إنّ إدراج هذه الاهتمامات في المناظرات الدّوليّة حول التّجارة والتّمويل الدّوليّيْن أصبح يشكّل الآن الأجندة للتّنمية المستدامة. وقد بُلورت هذه من خلال تبنّي الأهداف الألفيّة للتّنمية عام ٢٠٠٠، ومن خلال أجندة الدّوحة للتّنمية التي انطلقت عام ٢٠٠١، وفي القمّة العالميّة حول التّنمية المستدامة عام ٢٠٠٢.

يجب أن تكون القمّة العالميّة حول مجتمع المعلومات هي الخطوة التّالية؛ إذْ لا يمكن أن تكون عمليّة الانتقال إلى مجتمع المعرفة المشبّك والمرتكز على الاستخدام الواسع لتكنولوجيا المعلومات والاتّصالات عمليّةً منفصلة يحرّكها انبهارنا بالتّكنولوجيا لذاتها أو لأجل منفعة تنافسيّة قصيرة المدى.

*الأمير الحسن بن طلال*

*رئيس نادي روما*

## ملخّــص تنفيــذيّ

أبرز الإعلان الألفيّ للجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة التّحدّيات التي تواجه الجنس البشريّ. ويجب أن يتمّ التّعامل مع هذه التّحدّيات في العقود القادمة من أجل صالح الجميع. لقد وضع المجتمع الدّوليّ في القمّة العالميّة حول التّنمية المستدامة التي التأمت في جوهانسبرغ الأهداف والخطط الإجرائيّة للوصول إلى عالم مستدام. ويجب أنْ تكون القمّة العالميّة الحاليّة حول مجتمع المعرفة هي الخطوة القادمة.

إنّ مجتمع المعرفة المشبّك يشكّل تحوّلاً محوريًّا عن النّموذج الصّناعيّ للقرنيْن الماضييْن. ويستطيع هذا المجتمع أنْ يقدّم نمطاً جديداً للنّسيج الاجتماعيّ والسّلوك، وللمؤسّسات العامّة والخاصّة، وللإنتاج والتّجارة. ويستطيع أنْ يعيد تعريف الرّوابط والعلاقات بين الشّعوب والأمم والدّيانات. ويمكن للاتصال عبر الشّبكات المنخفض الكلفة - الألياف والكوابل واللّاسلكي والأقمار الصّناعيّة - أنْ تعزّزَ القدرة على الإبداع والابتكار والمبادرات التّجاريّة المحلّيّة، وأنْ تدعم المجتمعات المحلّيّة، وتحسّن من إنتاجيّة المصادر؛ أي الحصول على الكثير من القليل.

إنّ تقليص «الفجوة الرّقميّة» هو بحقّ أحد الأولويّات العالميّة. ويتطلّب ذلك تطوير تكنولوجيا ملائمة والتّثقيف في

استعمال التّكنولوجيّات؛ إضافة إلى الاستعمال الفعّال للتّكنولوجيّات في التّعليم وبناء القدرة. إنّ هذه التّكنولوجيات والبرامج يجب أنْ تلائمَ طيفاً من المهارات واللّغات الوطنيّة والتّقاليد المحلّيّة والمعارف الموروثة. وحين يتمّ ذلك، فإنّ الانتقال إلى مجتمع المعرفة المُشبك سيكون خطوة حقيقيّة نحو الحدّ من الفَقْر وبالتّالي إسهاماً أساسياً باتّجاه مجتمع عالميّ مستدام.

لا يمكن تحقيق الفائدة الكاملة من استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات في التّنمية دون مواجهة الحاجة إلى حماية التّنوّع الثّقافيّ وتعزيزه. إنّ التّنوّع المحتمل لمجتمعات المعرفة النّاشئة يعتمد على صَوْن الموروث الثّقافيّ الإنسانيّ وعلى التّنوّع الإبداعيّ.

ويمكن أنْ يكون لتكنولوجيا المعلومات والاتّصالات دوْر حاسم في حماية البيئة وإدارتها. كما يمكن أنْ تساعد في رصد المصادر الطّبيعيّة، والكوارث الطّبيعيّة، وتغيّرات المُناخ، ونزْف المياه العذبة، والزّحف الصّحراويّ، وانحسار الغابات، وأشياء أخرى كثيرة. ويجب أنْ يكون النّهج المؤسّسيّ والمراقبة والإنذار المبكّر مدعوماً من المجتمع الدّوليّ، مع ضرورة التّنفيذ الفوريّ.

إنّ الحاكميّة الفعّالة والتّعاونيّة على المستوى العالميّ هي التّحدّي الرّئيسيّ المقبل للبشريّة. في مجالات الصّحّة والبيئة، وفي مجال حماية التّنوّع البيولوجيّ والثّقافيّ وفي التّنمية المستدامة. وهنالك تحدّيات أخرى يُضيفها مجتمع المعرفة النّاشئ، هي: ضمان الحقوق في الوصول إلى المعرفة وابتكارها؛ وإعادة تعريف «الجوامع (القواسم المشتركة)» وحمايتها، خصوصاً فيما يتعلّق بالمعرفة وحقوق الملكيّة الفكريّة؛ وضمان الخصوصيّة؛ وتأكيد التّماسُك والتّزامن في تطوير البنية الأساسيّة وفي العمليّات التّربويّة؛ وأخيراً الاهتمام بالاستقرار والأمن عند الانتقال إلى المجتمع العالميّ المستدام.

## أعمال مقترحة

- إعادة تعريف المنافع العامّة للبشريّة المتعلّقة بمجتمع المعرفة النّاشئ، الذي يمكن اعتبار جزء كبير من المعرفة فيه منافعَ عامّة.
- تعزيز الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان، الذي يجب أنْ يتمّ التّعامل فيه بوضوح مع حقّ الوصول إلى المعلومات وابتكارها وحماية المجال الخصوصيّ لكلّ المشاركين في الفضاء الإلكترونيّ (الإنترنت).
- تقليص «الفجوة الرّقميّة» وتمكين النّساء من خلال التّعليم.
- تشجيع استخدام برمجيّات «المصادر المفتوحة»، خاصّة في البلدان النّامية، لتسهيل عمليّة التّقليل من «الفجوة الرّقميّة».
- ربط جامعات العالَم والمدارس الثّانويّة بشبكة ذات سرعة عالية من أجل البحث والتّعليم والتّنمية التّعاونيّة: تماماً كما هو الحال في أوروبّا والولايات المتّحدة.
- تطوير البنية العالميّة والإمكانات الإداريّة للرّصد العالميّ للبيئة من أجل تيسير اكتساب المعلومات المنظّمة وإدارة البيئة وتطويرها.
- تطوير أدوات تحليليّة جديدة بهدف الوقوف على المخاطر وإيجاد آليّات تضمن الحَدّ من حالات عدم الاستقرار الماليّ والسّياسيّ. فالاستقرار والأمن شرطان للتّنمية المستدامة.
- يتطلّبَ جسر «الفجوة الرّقميّة» تطويراً متزامناً للبنية التّحتيّة لشبكات تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات، وكذلك الطّاقة الكهربائيّة المحلّيّة إذا لزم الأمر، وتدريب معلّمي المستقبل.
- توسيع مشاركة المجتمع الأهليّ (المدنيّ)، بمنظّماته غير الحكوميّة الكثيرة وغيرها من المنظّمات، في عمليّات تنفيذ خُطط العمل المتّفق عليها في مؤتمرات القمّة العالميّة والمؤتمرات الدّوليّة.

## ١ - إطار عالميّ جديد للتّنمية المستدامة

لقد طُوِّرت أجندة التّنمية المستدامة عبر سلسلة من المؤتمرات الرّئيسيّة للأمم المتّحدة في التّسعينيّات من القرن الماضي، ابتداءً من مؤتمر البيئة والتّنمية الذي التأم في ريو عام ١٩٩٢. وفي الثّلاث سنوات الأخيرة تحقّق تقدّم متسارع في خمسة اجتماعات مهمّة:

تمّ تبنّي الإعلان الألفيّ للأمم المتّحدة في أيلول/سبتمبر عام ٢٠٠٠. وفيه كرّر رؤساء الدّول والحكومات التزامهم بالقيم الأساسيّة للحرّيّة، والمساواة، والتّضامن، والتّسامح، واحترام الطّبيعة، والمسؤوليّة المشتركة. ورافق هذا الإعلان أهداف التّنمية الألفيّة: تقاسم الفقر المدقع والمجاعة الشّديدة بالتّساوي؛ تحقيق التّعليم الأساسيّ العالَميّ؛ تمكين النّساء والعمل على تحقيق المساواة بين النّساء والرّجال؛ ضمان الاستدامة البيئيّة؛ خلق شراكة تنمويّة عالميّة للمساعدة وللتّجارة وتخفيف الدّيون.

أعاد إعلان بروكسل تأكيد الدّور الحاسم الذي تقوم به المساعدات التّنمويّة الرّسميّة المقدّمة للبلدان الأقلّ نموًّا، والتّطبيق العاجل لمبادرة البلدان الفقيرة المثقلة بالدّيون. وقد أكّد الإعلان أنّ رفع مستوى الرّفاهية لدى الشّعوب أمر لا يمكن الاستغناء عنه في التّنمية المستدامة.

لقد أقرّ إعلان الدّوحة الوزاريّ في المؤتمر الوزاريّ لمنظّمة التّجارة العالميّة المنعقد في تشرين الثّاني/نوفمبر ٢٠٠١ الحاجة إلى إطار عمل جديد متعدّد الأطراف لزيادة التّنمية الاقتصاديّة وتخفيف الفقر. وقد أقرّ الإعلان أيضاً أنّ البلدان الأقلّ نموًّا هشّة؛ وعليه فإنّه يجب مساعدتها لضمان اندماج مفيد ومُجْدٍ لها في الاقتصاد العالَميّ. كذلك أقرّ الإعلان أنّ هنالك حاجةً إلى تعزيز الدّخول إلى الأسواق، وإلى قوانين متوازنة، وإلى معونات فنّيّة موجّهة بشكل سليم ومستدامة، وإلى برامج بناء القدرات.

اللّقاء الرّابع هو إجماع مونتري الذي تمّ تبنّيه في آذار/مارس ٢٠٠٢ والذي أقرّ، في الاقتصاد العالَميّ الذي يتزايد اعتماد بعضه على بعض، أنّ المنهج الكلّيّ أساسيّ في جميع أنحاء العالم لتمويل تنمية مستدامة، تأخذ الجنوسة (الجندر) بالحسبان وتتمحور حول النّاس. وقد عرّف هذا الإجماع الأعمال الرّياديّة، بما في ذلك تحفيز الاستثمار الأجنبيّ المباشر، وزيادة التّجارة الدّوليّة، والتّعاون الماليّ والتّقنيّ، وتخفيف الدّيون الخارجيّة، وتشجيع الحاكميّة الصّالحة، ومحاربة الفساد.

المؤتمر الخامس كان إعلان قمّة جوهانسبرغ والخُطّة التّنفيذيّة في أيلول/سبتمبر ٢٠٠٢ الذي أقرّ أنّ القضاء على الفقر، وتغيير التّمطين الاستهلاكيّ والإنتاجيّ غير المستدامين، وحماية قاعدة المصادر الطبيعيّة وإدارتها، هي المتطلّبات الأساسيّة للتّنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة. وقد أدرك المؤتمر أنّ استمرار اتّساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وبين البلدان المتقدّمة والنّامية، يفرض تهديداً رئيسيًّا للأمن والاستقرار العالميّين، وأنّ استمرار تدهور البيئة العالميّة هو عائق رئيسيّ أمام الازدهار المستدام.

لقد أوجدت هذه المؤتمرات جميعاً إطاراً جديداً للعمل وأحدثت انعكاساً على التّنمية العالميّة. وانبثقت عن إعلاناتها أهداف محدّدة وأطر زمنيّة. ويجب أنْ تكونَ القمّة العالميّة الحاليّة حول مجتمع المعلومات هي الخطوة السّادسة في هذه السّيرورة. ويخلق ظهور تكنولوجيّات جديدة للمعلومات والاتّصالات في الوقت الحاضر نموذجاً جديداً هو «مجتمع المعرفة المُشبَّك».

## ٢ - تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات والابتكار من أجل تنمية مستدامة

### ٢,١ إيجاد الظروف المناسبة لتنمية مستدامة باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات

تعتمد التّنمية المستدامة على اشتراك الكلّ واستعدادهم لتحمُّل المسؤوليّة من أجل مستقبلنا جميعاً. الكلّ سيحتاجون إلى معلوماتٍ ملائمة بصيغ يستطيعون فهمها واستعمالها؛ إضافةً إلى المهارات والدّافعيّة لتيسير التّغيير. لذلك فإنّ رفع درجة الوعي من خلال الوصول إلى المعرفة هو الأهمّ. إنّ تقليص «الفجوة الرّقميّة» هو، إذاً، بحقّ أولويّة عالميّة.

ومن دون فعل متعمّد، فإنّ النموّ غير المتوازن لاقتصاد المعرفة المشبّك سيزيد من الظّلم من حيث إنّه سيظهر أكثر ومن حيث تبعاته الاجتماعيّة. وإذْ يرى الشّباب المُحبَط الفرق الهائل بين أساليب الحياة في أمريكا وأوروبا وأسلوب حياتهم، فإنّ الهجرة إلى هذه المناطق الغنيّة هو البديل الأوحد للفقر المستمرّ.

وفي الوقت الذي من الطّبيعيّ أنْ ينصبَّ فيه الاهتمام على الأقلّ حظاً، وهم البليون الأكثر فقراً الذين يعيشون في المناطق الرّيفيّة والنّائية، فإنّ أولويّة عالية يجب أنْ تُعطى لإنشاء أطرٍ للسّوق يمكن التّوسّع فيها لتشمل «البليونيْن التّاليين». هؤلاء هم بشكلٍ رئيسيّ فئة الشّباب (١٢-٣٠) الذين يعيشون في البيئات الرّيفيّة السّريعة النّموّ. وهم السّكّان الذين على الأرجح يحصلون على منافعَ فوريّة، والذين لديهم الفضول والحماسة ليقودوا الابتكارات الاجتماعيّة والتّعهّدات، وهم الذين لديهم حاجة ماسّة إلى المعرفة ويملكون مصادر التّمويل الكلّيّة الكافية لتحقيق عائدات مناسبة للاستثمارات.

لا يمكن أنْ تكون التّكنولوجيات وحْدَها هي الحلّ لمشكلات التّنمية؛ وإنّما هي إسهامات ثمينة للتّنمية حين تكون مصحوبةً بطيْفٍ كامل من الخطوات الأخرى.

### ٢,٢ البنية التّحتيّة للشّبكة والطّاقة

يجب تحرير البنية التّحتيّة لشبكة المعلومات والاتّصالات وكذلك توفير الخِدمات، خصوصاً على المستوى المحلّيّ (W-LAN والارتباط مع شبكات الهواتف الخلويّة). وليس الاعتماد على الحاسوب الشّخصيّ للوصول إلى الإنترنت هو بالضّرورة «الحزمة التّكنولوجيّة» الفضلى لتحقيق غايات تنمويّة؛ إذْ يمكن الاستفادة أكثر من تكنولوجيا الاتّصالات الصّوتيّة (كالهواتف الخلويّة وأنظمة الاتّصالات الصّوتيّة المحلّيّة والعالميّة)، أو من أجهزة الرّاديو والتّلفزيون الرّقميّة على مستوى المجتمع المحلّيّ.

إنّ تعميم الاتّصالات اللّاسلكيّة وعَبْرَ الأقمار الصّناعيّة يجعل المجتمعات المحلّيّة والنّائية قادرة على الوصول إلى المعلومات، ويُمكّنها من المحافظة على المعرفة الأصيلة الموروثة والمشاركة فيها.

يتمّ في الوقت الحاضر إجراء كثير من التّجارب والمبادرات في المناطق الرّيفيّة والنّائية، وكذلك في المناطق الحضريّة، في أفريقيا وآسيا والشّرق الأوسط وغيْرها. بين تلك التّجارب والمبادرات شيء مشترك، ألا وهو تصميم النّاس على المشاركة في الإمكانات الجديدة وعلى تحقيق حياة أفضل لهذه الأجيال والأجيال القادمة. ويُثبت عدد من الأمثلة إمكانيّة تحسين الرّعاية الصّحّيّة على المستوى المحلّيّ وتحسين الخِدمات الطّبّيّة. وكذلك زيادة الإنتاج الزّراعيّ المحلّيّ والتّجارة، وتمكين المرأة، وتنظيم التّعليم على مختلف المستويات، وبناء مراكز للمعرفة المحلّيّة الأصيلة، والبدء بتقديم خدمات الحكومة الإلكترونيّة.

إنّ الإفادة من خدمات الاتّصال اللّاسلكيّة تتطلّب توفير مرافق كهربائيّة لامرْكَزيّة. واليوم، فإنّ تكنولوجيّات شتّى من التّقنيّات مواتية لمثل هذه الظّروف. لكنْ، على المدى الأبعد، لا بُدّ من الإفادة أكثر فأكثر من مصادر طاقة متجدّدة ومستدامة، مثل الكتلة الحيويّة والخلايا الشّمسيّة، إلخ...

### ٢,٣ التّربية لأجل المشاركة في المعرفة وبناء القدرة

إنّ «الفجوة الرّقميّة» ليس إلاّ عنصراً واحداً من عناصر الهوّة الواسعة التي تفصل الأغنياء عن الفقراء. وتطوير تكنولوجيا معلومات واتّصالات ملائمة من شأنه أنْ يعمل على تضييق تلك الهوّة. لكنّ توسيع المشاركة والارتباط المسؤول بمجتمع المعلومات يجب أنْ يركز أكثر بكثير على التّعليم والمبادرات التّجاريّة. كما يجب على الجهود أنْ تتجاوز بكثير مرحلة التّزويد السّهل للبنية التّحتيّة والغايات والخِدمات التي يمكن دفع تكاليفها. إن التعليم والإبداع مرتبطان بخلق المعرفة ونشرها التي، بصفتها خيْراً عامًّا وعالميًّا، تشترك بسلسلة عمليّة خلْق القيم وتكملها.

إنّ التّعليم الأساسيّ لمعظم النّاس ليس كافياً لتحقيق مجتمع المعرفة المستدامة عالميًّا. فمن الضّروريّ أنْ نتقدّم إلى أبعد

من أهداف التّنمية للألفيّة الجديدة في جهد هائل لتطوير الأنظمة التّعليميّة على جميع المستويات.

**❖ التّعليم لأجل تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات**

يحتاج الناس إلى المهارات والمعرفة للتّعامل مع مجريات المعرفة التي يواجهونها. فالتّعليم لأجل تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات ضروريّ لترويج استعمال المعرفة المحلّيّة بالتّكنولوجيّات الجديدة. وللسّماح بظهور «حداثات متعددة»، فإنّ المعرفة الأصيلة الموروثة يجب أنْ تُدمج تماماً بالواقع الاجتماعيّ الجديد. ويجب مراعاة التّنوّع الثّقافيّ واللّغويّ كعنصر من عناصر التّماسك العالميّ. وفي عمليّة تعميق الدّيمقراطيّة والمشاركة، يحتاج النّاس كذلك إلى القدرة على المساهمة في نشر المعرفة في المجتمع. وملكيّة المجتمع للمحتوى تصبح ذات أهمّيّة عظيمة حين تُنتَجُ التّكنولوجيّات والبنى التّحتيّة من طرف شركات عالميّة بعيدة.

**❖ تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات لأجل التّعليم**

كما أنّ التعليم ضروريّ لتطوير مجتمعات المعرفة، فإنّ تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات يجب أنْ تُستخدم لتطوير أنظمة التّعليم . فهي تمكّن المجتمع من تطوير أساليبَ جديدة للتّعلّم، وترويج التّعلّم عن بعد، وخلق مكتبات وجامعات افتراضيّة، والمساعدة على الإبداع والتّدريب. إنّ تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات تساعد بشكل خاص في البحث والتّطوير . حيث الاتّصال السّريع وإتاحة المعرفة تُسهّلان خلق مجتمعات البحث. وفي مجال الإبداعات الاجتماعيّة في التّعليم والعناية الصّحّيّة. فإنّ تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات تسمح بدعم أكبر للتّظراء بين التّلاميذ والمعلّمين على المستوى المجتمعيّ والمحلّيّ. وثمّة حاجة إلى المزيد من التّركيز على دعم التّظراء هذا: المدرّسون يساعدون المدرّسين، والتّلاميذ يساعدون التّلاميذ. وهذا قد يساعد في تجنُّب استعمار ثقافيّ جديد يفرض مناهج تعليميّة متعدّدة الوسائل والمضامين تأتي من الولايات المتّحدة والشّركات الأوروبيّة والمعاهد التّجاريّة الميول. يجب أنْ نربط جميع الجامعات والمدارس الثّانويّة في العالَم بالشّبكة نفسها العالية السّرعة والمخصّصة للبحث والتّعليم والتّطوير التعاونيّ كما هو متاح في أوروبّا والولايات المتّحدة.

**❖ تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات لبناء القدرة**

إنّ العدالة والتّماسك الاجتماعيّ متطلّبان سابقان لتحقيق المجتمعات المستدامة. وبناء القدرة هو التّنمية المرتكزة على النّاس والمتجذّرة بعمق في هذه البيئة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة. ويجب أن يُصمّم بناء القدرة كي يشجّعَ على التّغيير ويُقلّلَ من نقاط الضّعف ويحفزَ السّكّان المحلّيّين ويدلّهم على استثمار طويل الأمد في النّاس . والتّدريب لأجل المهارات المهنيّة من جانب النّاس المحلّيّين ولأجلهم، على مستويات الانخراط كلّها، يقدّم المنظور الضّروريّ الطّويل الأمد من أجل الأعمال التّجاريّة والمهنيّة المحلّيّة إضافةً إلى التّكامل الاجتماعيّ. ويجب أنْ يكون تطبيقه جهداً مشترَكاً للمدارس التّقنيّة والجامعات ومن خلال الشّبكات المرتبطة بالأعمال التّجاريّة.

إنّ السّلطات العامّة مسؤولة عن أخذ المبادرة للاستثمار في كلّ أشكال التّعليم ولتشجيعها، آخذة إلى جانبها أنّ التّعليم الأساسيّ هو حقّ أساسيّ. فالتّعليم الأساسيّ واحترام اللّغات المحلّيّة وإدراج المعرفة الأصيلة الضّاربة في عمق التّقاليد المحلّيّة تحقّق كلّها المتطلّبات السّابقة لتقليل الفقر واختزال «الفجوة الرّقميّة» عند مواطنيهم، وهي الشّروط النّهائيّة نحو تعزيز المساواة الجنسويّة والدّيمقراطيّة والكرامة الإنسانيّة . فتكنولوجيا المعلومات والاتّصالات تقدّم إمكانات جديدة لتسريع عمليّات التّعلّم لأجل التّعليم الأساسيّ، إضافة إلى التّدريب المعزّز بالمهارات في مجالاتٍ كثيرة.

وعلى مستوى العالم، فإنّ قيماً جديدة للتّضامن الإنسانيّ يجب أن ترافق هذه العمليّات لإقامة مجتمعٍ مستدام.

**٢,٤ مراقبة الأهداف البيئيّة**

تنهض أنظمة المعلومات بدور أساسيّ في الوصول إلى الأهداف البيئيّة لأجل التّنمية المستدامة. وفي القمّة العالميّة

للتنمية المستدامة في جوهانسبرغ تُسجّل خُطّة التنفيذ أعمالاً متعدّدة للمحافظة على البيئة والتغيير المُناخيّ الذي لا يمكن تحقيقه من دون دعم تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات. ويمكن لهذه التكنولوجيّات أنْ تعزّز المراقبة المنظّمة والشاملة لحماية النّظام البيئيّ للأرض والحفاظ عليه: حماية الغابات من الاستغلال الجائر، وحماية المحيطات والشواطئ من التلوث على مستوى كبير، وحماية البيئة البحريّة من الأنشطة القائمة على اليابسة. ونحن كذلك بحاجة إلى نظام رقابيّ لتقليل آثار التصحّر، والجفاف والفياضانات، وقياس التغيّر المُناخيّ، ومراقبة استخدام المصادر الطّبيعيّة واليابسة، وتدبير جهود الإنقاذ بعد النكبات الكبيرة. فتراكم كمّيات كبيرة جدًّا من المعلومات واستعمالها الفاعل وأرشفَتُها للمستقبل البعيد يتطلّب جهازاً عالميًّا ومرافق إداريّة. وقد أخذ المؤتمر الذي عُقد مؤخّراً حول «الأرض الرقميّة» في بورنو الخطوات الأولى. كما أنّ تنفيذ المبادرة المشتركة للهيئة الأوروبيّة ووكالة الفضاء الأوروبيّة ونظام المراقبة العالميّة للبيئة والأمن (GMES)، إضافة إلى المبادرة المشتركة لبرنامج البيئة التابع للأمم المتحدة والاتّحاد الدّوليّ للاتّصالات، والمبادرة العالميّة للاستدامة الإلكترونيّة (GESI)، جميعها أخذت خطوات أساسيّةً لتعزيز اكتساب معلومات منظّمة ولتحسين الإدارة البيئيّة والتّنمية والمشاركة في أفضل الممارسات. إنّ إتاحة المعلومات واستخدامها حول تطوّر الأرض المشترك مع الإنسانيّة سوف يسمح بصياغة سيناريوهات المستقبل، وتزويد زعماء الأمم والعالم بالأدوات الضّروريّة لقراراتهم.

### ٢,٥ التنوّع الثّقافيّ والإبداع: أثر وسائل الإعلام

#### ◆ غنى التنوّع الثّقافيّ

إنّ إقامة المجتمعات المستدامة يَعني تغيُّراً في القيم والاتّجاهات والمداخل. ولتجنّب «صراع ثقافات» كارثيّ في عالم متعدّد الثّقافات، فإنّ الهُويّة الثّقافيّة والتنوّع كليهما يجب أنْ يُقبلا أهدافاً شرعيّة بحدّ ذاتهما، جنباً إلى جنب مع احترام الحقوق الأساسيّة للإنسان والتّماهي مع مجموعة مشتركة من القيم الإنسانيّة العالميّة. إنّ فقدان التّنوّع الثّقافيّ يَزيد من عدم الاستقرار السّياسيّ والاقتصاديّ.

يجب أنْ نطوّر مجتمعات حيويّة تتّسم بتنوُّعها الثّقافيّ وتسامحها، حيث يمكن للأفراد أنْ يسعوْا إلى تحقيق حاجاتهم الرّئيسيّة في اكتساب هُويّاتهم وإحساسهم بالانتماء. إنّنا بحاجة إلى عالم من «الحداثات المتعدّدة»، حيث المجتمعات لا العقائد، وحيث تتعايش الثّقافات المختلِفة بسلام؛ عالم «مجتمعات التّعلّم»، حيث لا تفرض ثقافة قيمها على الثّقافات الأخرى، وحيث «الحداثة الطّبيعيّة» و«التّعلّم من بعضنا البعض» هي قيم بحدّ ذاتها. إنّ مجتمع المعرفة المشبّك يجب أن يُدرجَ غنى المعرفة الأصيلة الموروثة ويتمثّل الرؤى المرتكزة على الإنسان والبيئة لخلق مجتمع عالميّ مستدام.

وكي نعكسَ هذه الحاجة، يجب أنْ نُوليَ اهتماماً أكبر للاتّصال الصّوتيّ؛ إضافة إلى طيْف من الاحتمالات التي تتنوّع من الهاتف الخلويّ الرّخيص إلى الاتّصال عبر الإنترنت، وإلى تطوير التلفزيون الرّقميّ المتفاعل كأساس إلى التّواصل ضمن «المجتمع» وبين الأقران. إضافة إلى الإذاعة: كلاهما يمكن بالقوّة نفسها أن يحترما ويحميا التّنوّع الثّقافيّ.

#### ◆ دور وسائل الاتصال

يجب على السّلطات المحلّيّة والإقليميّة أنْ تعي الدور الذي تقومَ به وسائل الاتّصال الجماهيريّ في إنشاء مجتمعات أكثر استدامة. كما يجب إعادة توجيه هذه الوسائل من مرحلة التّرويج المنظّم للاستهلاكيّة غير المستدامة إلى خلْق وعي بالاستدامة والقضايا البيئيّة، والتّماسك الاجتماعيّ والقيم والتّقاليد المحلّيّة. كذلك يجب تكريس هذه الوسائل لتعزيز المعرفة بالقراءة والتّعليم الأساسيّ والمهارات التّقنيّة. والحقّ أنّ وسائل الاتّصال الجماهيريّ يجب أنْ تصبح اللاعب الرّئيسيّ في تمكين النّاس والمجتمعات بجعلها أكثر وعياً لهُويّتها الثّقافيّة، بدلاً من جعلها مجرّد أداة تسويق أنماط استهلاكيّة مقوْلبة. وهذا يتطلّب تغييراً

جذرياً في تشريعات التّرخيص.

### ٢,٦ تعزيز الإنتاجيّة والمبادرات التّجاريّة

◆ المستوى المحلّيّ

إنّ توفير البنية التّحتيّة التّقنيّة المناسبة للتّعليم والتّدريب على المهارات يشكّل الأساس السّليم لتكامل اجتماعيّ أفضل؛ إضافة إلى تسهيل المبادرات التّجاريّة المحلّيّة، خاصة للنّساء والشّباب . إنّ إعادة تقييم المعرفة الأصيلة الموروثة والتّقاليد المحلّيّة، المعزّزة بالمشاركة لتحقيق نقل الابتكار التّكنولوجيّ، سيفتح طرقاً جديدة حقيقيّة ومستدامة للسّوق. إنّ الاعتراف بحقوق المِلكيّة، وبملكيّة الأرض، وبحقوق الملكيّة الفكريّة، وملكيّة الأعمال، ... ، إلخ هو خطوة رئيسيّة للوصول إلى مجتمعات مستدامة، مثلما هو الاعتراف بقيمة معارف النّاس و«رأس المال» الاجتماعيّ كذريعة للدّيون الصغرى والقروض الصغرى.

كذلك لا بُدّ من بذْل جهودٍ رئيسيّة لتحقيق الأُطر الملائمة لمساءلة السّلطات المحلّيّة، والعاملين، والمستثمرين، والمساهمين؛ ولتمكينٍ أكثر فاعليّة للتنمية المحلّيّة ذات المسؤوليّة الاجتماعيّة.

◆ المستوى العالميّ

يجب أن يكون هنالك جهود رئيسيّة على المستوى العالميّ لوضع السّوق وأطر المساءلة في شكلها الصّحيح. كما يجب أن نخلقَ الأطر الدّاعمة للمبادرات التّجاريّة على المستوى العالميّ. كذلك يجب أنْ تصبح المسؤوليّات الاجتماعيّة للمؤسّسات التّجاريّة مطلباً في كلّ زمان ومكان. فالقاعدة الثّلاثيّة المعلنة حول التّطوّر الطبيعيّ والاجتماعيّ ورأس المال البشريّ، التي تتمّ بالإعلان عن الشّراكة لأجل الاستثمار والتّنمية، يجب أنْ تكون الممارسة الطّبيعيّة لجميع الشركات العامّة.

## ٣ - الحاكميّة والتّوصيات

في السّنوات الثّلاثين إلى الخمسين القادمة سيخلق ظهور مجتمعِ معلوماتٍ ومعرفةٍ عالميّ ناضج تحدّيات جديدة للحاكميّة في ذلك المجتمع بشتّى مستوياته: المحلّيّة والإقليميّة والعالميّة. إنّ الفضاء الجديد الذي خلقته شبكة الاتّصالات السّلكيّة واللاسلكيّة، والشّبكة العالميّة للمعلومات، و«قشرة» المعلومات المحيطة بالأرض، تشكّل جُزءاً متكاملاً من المجتمع البشريّ. وهذا كلّه يحتاج إلى مؤسّسات حاكميّة ملائمة، وأطر تشريعيّة محدّدة؛ إضافة إلى آليّات تحكّمٍ ومراقبة.

إنّ مجتمع المعرفة ليس بأكثر من استطالة للمجتمع الملموس الذي عرفناه منذ ظهور الجنس البشريّ على الأرض. وبالتّعريف، فإنّ هذا المجتمع هو الأكثر إنسانيّةً في تاريخ الأرض. وهو كذلك حالة جديدة تماماً بالنّسبة للجنس البشريّ. والتّحديّ الأوّل هو ربط المجتمعات كافّةً. فإنّ «قشرة المعرفة» هي المعرفة للبشرية كلّها. والتّحدّي الثّاني هو تمكين كلّ إنسان من أنْ يستعمل هذا المصدر المشترك ويُضيفَ إليه.

### في إطار قمّة الأرض الحاليّة حول مجتمع المعلومات اقترحت التّوصياتُ الآتية:

### ٣,١ حماية «الجوامع (القواسم المشتركة)»: تعزيز الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان

يجب على المجتمع العالميّ أنْ يُعيدَ تعريف قيم الخير المشتركة للجنس البشريّ ويتّفقَ عليها. وهذه ليست فقط الطّبيعة أو نظام البيئة الذي تشكّل الأنواع جُزءاً منه. ففي مجتمع المعرفة النّاشئ يمكن أنْ يُعدّ قدرٌ كبيرٌ من معرفتنا سلعاً عامّة بمقدور أيّ مواطن في هذا العالم أنْ يستعملها بحرّيّة ويُضيفَ إليها. وبما أنّ هذه الحقوق لم تُكرّسْ في الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان، فإنّ نصًّا منقّحاً يجب أنْ يخاطب بصراحة قيم الخير الجديدة هذه.

ولتسهيل ظهور شبكات المبادرات التّجاريّة الجديدة والدّعم التّعليميّ بين الأقران، فإنّ مبادرات جديدة يجب القيام بها على المستوى العالَميّ للاعتراف بإنتاج المعرفة الجماعيّة وحمايته وتشجيعه: «البرمجيّات المجانيّة من مصادر

مفتوحة»، والمعرفة في «المجال العام»، و«المعرفة التقليديّة» و«المحتوى المفتوح» مثل المعرفة العلميّة والفنيّة (بما في ذلك المعرفة الموسيقيّة) التي يحبّ المبدعون أنْ يساهموا بها نحو جهد مشترك، لكنّهم مَعَ ذلك يحبّون أنْ يُقرَّ بأنّها مِلكيّتهم.

### ٣,٢ الاستقرار والأمن

كلّما كان التّفاعل بين الناس أقوى (وأسرع) في مجتمع أكثف تشابكاً، أصبح الاقتصاد يولّد مخاطر جديدة تتمثّل في عدم الاستقرار، إضافة إلى حالات جديدة من النّموّ والإبداع. ولا بدّ من معالجة حالات الفوضى وعدم الاستقرار هذه النّاتجة عن التّغذية الرّاجعة الإيجابيّة والحماسة الزّائدة «الدّارجة» أو الكساد، أكان ذلك في الأسواق الماليّة أم في انتشار «الفيروسات» في الإنترنت، أم في الحركات الاجتماعيّة. يجب معالجة تلك الحالات على المستوى الدّوليّ. ويجب إيجاد آليّات جديدة للتّخفيف من «الظّواهر الطّاردة»، ولاحتوائها وإعادة توجيهها. إنّ الأدوات التّحليليّة الخاصّة بتحليل المخاطر في الأنظمة المعقّدة أصبحت متاحة؛ لكنّ التّرتيبات المؤسّسيّة المعدّة لتقليل المخاطر ليست متوافرة حتّى الآن.

### ٣,٣ التّزامن في تنفيذ البنية التّحتيّة

إنّ التّجسير النّاجح «للفجوة الرّقميّة» يتطلّب تطويراً متزامناً للبنية التّحتيّة لشبكات تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات، مصحوباً بمدّ شبكات الطّاقة الكهربائيّة المحلّيّة، وتدريب معلّمي المستقبل . وتصرّ الحكومات دائماً وباستمرار على جهودها في إنشاء البنية التّحتيّة وتجاهلها مشكلة تدريب المعلّمين وشروط القَبول. ومن المهمّ التّأكيد أنّ تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات هي مجرّد أداة وليست غاية بحدّ ذاتها. يجب تطوير محتويات وأدوات تعليميّة جديدة تستخدم تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات . ومن المتوقّع أنّ مبادرات مثل هذه يمكن تطويرها من جانب المؤسّسات الدّوليّة الملائمة. وفي حال غياب التّنفيذ المتزامن للاستثمارات البشريّة والفنيّة إضافة إلى الأمور الماليّة من طرف الحكومات، فإنّ الخطر سيكون حقيقياً لدرجة إغفال الأهداف والتّوقّعات التي يمكن لتكنولوجيا المعلومات والاتّصالات أنْ تقدّمها من أجل المزيد من التّطوّر، خاصّة في مجال تقليص «الفجوة الزّمنيّة».

### ٣,٤ حماية الخصوصيّة

إنّ البنى التّحتيّة للمعلومات والاتّصالات الجديدة تحمل تهديداً محتمَلاً للعالَم الخصوصيّ للمشاركين جميعهم. وهذا التّهديد حاضر تماماً في شبكات اليوم. إنّ الأداء الطّبيعيّ لأيّ مجتمع أو ديمقراطيّة على وجه الخصوص يتطلّب أدواتٍ وقواعدَ لمنع سوء استخدام المعلومات حول المسائل الخاصّة لأعضاء المجتمع. وفي ضوء أهمّيّة هذه المسألة، فإنّه يجب معالجتها بسرعة بواسطة المجتمع الأهليّ (المدنيّ) والسّياسيّ، بما في ذلك قيادات الأعمال على مستوى العالم.

### ٣,٥ مشاركة المجتمع الأهليّ والمنظّمات غير الحكوميّة في خُطط التّنفيذ

إنّ تنفيذ خُطّة عمل لمؤتمرات القمّة العالميّة الحاليّة والماضية، إضافة إلى المؤتمرات الكبيرة في السّنوات الثّلاثين الأخيرة، سيكون صعباً. فالالتزامات السّياسيّة يُوافَق عليها فوْراً؛ لكنّ التّنفيذ يُحتمل أنْ يقصّرَ عن بلوغ أهداف السّكّان المعنيّين إلى حدّ كبير. وهذه الصّعوبة تنبع من حقيقة أنّ القرارات السّياسيّة هي أساساً إجراءات من أعلى إلى أسفل؛ لكنّ تنفيذها النّاجح يتمّ من أسفل إلى أعلى، بحيث تسيّره المجتمعات والمنظّمات المحلّيّة. إنّ الانخراط الأكبر للمجتمع الأهليّ بمنظّماته غيْر الحكوميّة والمنظّمات الأخرى، التي لديها خبرة معتبرة في حقول محدّدة، أصبح أكثر أهمّيّة في عمليّات التّنفيذ . فيجب تمكين المنظّمات غيْر الحكوميّة ومنظّمات المجتمع الأهليّ كي تنهضَ بدوْر متزايد. □

برنامج الأمم المتحدة الإنمائي

الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي

# تقرير التنمية الإنسانيّة العربيّة للعام ٢٠٠٣

## نحو إقامة مجتمع المعرفة

أطلق برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في عمّان بتاريخ ٢٠٠٣/١٠/٢٠ تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣: نحو إقامة مجتمع المعرفة. ويأتي هذا التقرير الثاني مكملاً للتقرير الأول للعام ٢٠٠٢ حول أهم التحدّيات التنمويّة التي تواجه الأقطار العربية في مطلع الألفية الميلادية الثالثة.

يستهلّ التقرير الثاني عرضه بتقييم لأبرز التطورات المؤثّرة في مسيرة التنمية الإنسانية العربية، على الصعيديْن الخارجي والداخلي، للفترة التي تلت صدور التقرير الأول.

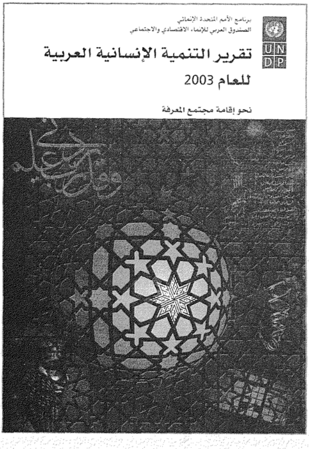
بعد ذلك يركّز التقرير الحالي على مجتمع المعرفة، من حيث إن المعرفة هي حجر الزاوية في التنمية الإنسانيّة. فهي الأداة الأولى لتوسيع آفاق البشرية وقدراتها، وللتغلّب على الحرمان المعنويّ والماديّ، ولبناء المجتمعات المزدهرة والتنمية المستدامة.

ثمّ يستأنف التقرير العَرْض، فينظر في حال اكتساب المعرفة، نشراً وإنتاجاً، في الأقطار العربية في القرن الحادي والعشرين، ويحلّل السياق المجتمعي المؤثر في اكتساب المعرفة في هذه الأقطار ضمن محاور الثقافة والاقتصاد والاجتماع والسياسة.

وينتهي التقرير برؤيا استراتيجية لإقامة مجتمع المعرفة في الوطن العربي.

وقد نُشر الكثير داخل العالم العربي وخارجه حول هذا التقرير المهم. نقتطف فيما يأتي [بتصرف طفيف] بعض ما كتبه عضو المنتدى أ. توفيق أبو بكر [الدستور الأردنيّة؛ ٢٠٠٣/١١/٤] :

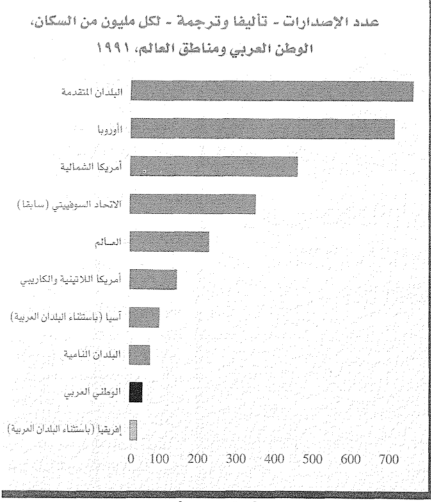
يُعدّ صدور هذا التقرير الشامل، وبانتظام للعام الثاني، إنجازاً كبيراً في مجال رصد «حال الأمة» وتحليله حسب التعبيرات القومية السائدة. ذلك أن التقرير يتضمن معلومات هائلة، في شتي المجالات، تكتسب أهميتها حين تتم مقارنتها، بالأرقام الصارخة الدّلالات، بالوضع السائد في العالم، وفي الدول النامية على وجه الخصوص؛ مما يُظهر مدى التخلف العربي؛ إذ يرى البعض مبالغة وجلدا للذات فيما نكتبه حول هذا التخلف.إنه أعمق من كلّ التصورات،



والأمم تحتاج إلي أن يقوم من بين ظهرانيها نخبة تدعو إلى جلد الذات حين يتطلب الأمر ذلك. هذا ما قام به المثقفون الروس في بداية القرن الماضي. الأرقام مرعبة وتنذر بكارثة اذا لم يتم تدارك الأمر: في بلادنا يوجد ١٨ حاسوباً لكل ألف مواطن عربي؛ وفي العالم فإنّ المتوسط العام الذي يشمل جميع الدول هو ٧٨ حاسوبا لكل ألف شخص. العرب هم الأمة الوحيدة في العالم التي استثمرت ٢٥٠٠ بليون دولار في البنية التحتية وفي بناء المصانع بين ١٩٨٠ - ١٩٩٧؛ ومع ذلك فقد انخفض الناتج المحلي للفرد العربي، لأنّ ما تم نقله هو وسائل الإنتاج وليس التقانة ذاتها. العرب ٥٪ من سكان العالم؛ لكنّ إنتاجهم من الكتب والتأليف ١٪، وهو أقل مما تنتجه تركيا وسكانها أقل من ربع السكان العرب. وفي باب المنشورات العلمية، زادت هذه المنشورات (البحوث العلمية) أحد عشر ضعفاً في الصين بين ١٩٨١-١٩٩٢، وزادت في كوريا الجنوبية أربعة وعشرين ضعفاً، في حين لم تزد سوى ٢،٤ ضعف عند العرب في الفترة نفسها.

وفي مجال الصحافة، لدينا ٥٣ صحيفة لكل ألف إنسان، مقارنة بـ ٢٨٥ لكل ألف انسان في العالم المتقدم. هذا الوضع التعيس أغرى بهجرة الكفاءات؛ إذ غادر حسب أرقام التقرير ١٥ الف طبيب عربي بين ١٩٩٨ - ٢٠٠٠ إلى الخارج، وغادر إلى العالم الغربي ٣٠٪ من الخريجين العرب بين عامي ١٩٩٥-١٩٩٨؛ أي حوالي مئة ألف خريج جامعي عربي. أرقام مرعبة، دون شك، والقائمة طويلة يصعب حصرها.

بعد هذا التشخيص، يرى التقرير أن الحل الوحيد هو أن يدخل العرب عصر المعرفة؛ إذ ركّز التقرير لهذا العام على «المعرفة»، تاركا قضايا حرية الرأي وتمكين النساء ربما لتقارير أخرى. المعرفة تكاد تكون الفريضة الغائبة في أمة العرب الآن. ومن أراد العزة لأمة العرب في العصر الآتي، فليسهم مخلصاً ومجتهداً في إقامة مجتمع المعرفة في ربوع الوطن العربي كافة. هذا هو عنوان التقرير. مدير عام برنامج الامم المتحدة الانمائي خاطب العرب في مقدمته بقوله: «واكبوا العالم الجديد، او أنكم ستتخلفون وراءه»، السيدة ريما خلف كتبت أنّ المعرفة - اكتساباً وإنتاجاً وتوظيفاً - غدت في مطلع القرن الحادي والعشرين هي الوسيلة الكفيلة بتحقيق التنمية الإنسانية في جميع ميادينها. فهي غالبا ما ترسم الحدود بين القدرة والعجز؛ بين الصحة والمرض؛ بين الثروة والفقر. .....




[عن التقرير ص٧٨]

كما نقتطف فيما يأتي [بتصرف طفيف] بعض ما كتبه عضو المنتدى د. عبد الخالق عبد الله [جريدة الخليج/الإماراتية: ٢٠٠٣/١١/١١] :

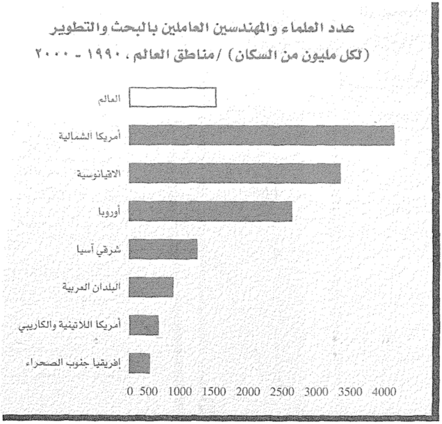
لا توجد أمة مهووسة بالعدو الخارجي كالأمة العربية التي تعاني أكثر من غيرها من عقدة الخارج التي هي عقدة نفسية أكثر مما هي حقيقة موضوعية.

للسنة الثانية على التوالي يؤكد تقرير التنمية الإنسانية العربية أن مصدر الخلل التنموي العربي إنّما يكمن في الداخل وليس في الخارج. لم تتحقق التنمية العربية حتى الآن، وربما لن تتحقق في المستقبل القريب بسبب السياسات العربية أولاً وأخيراً. إن العلة، كما يقول الفريق العربي المشرف على إعداد تقرير التنمية الانسانية العربية ٢٠٠٣، هي علة محلية وعربية بحتة، والعلاج يبدأ محلياً وينتهي عربياً.

ليس في الأمر مؤامرة ضد العرب. ونظرية المؤامرة الخارجية في الخطاب العربي التي ما زالت سائدة ومنتشرة على نطاق واسع في الخطاب العربي غير مقنعة لفهم الأزمة التنموية العربية وتشخيصها وعلاجها. يقول تقرير التنمية الإنسانية العربية إن التركيز المبالغ فيه على العامل الخارجي كسبب للتردي التنموي والاخفاق الحضاري العربي المعاصر هو تركيز مَرضي. كما أن المغالاة في الحديث عن الاستعمار والامبريالية والعولمة والغرب الحضاري والعدو الخارجي المتربص بالأمة وهويتها وعقيدتها ليس «سوى مسلك هروبي ومريح للنفس المكدودة» والمحبطة من الهزائم السياسية والعسكرية والحضارية المتكررة. ويضيف التقرير الذي كتبه «مفكرون عرب شجعان»، كما وصفهم توماس فريدمان، أن الهوس بالمؤامرات الخارجية «بقدر ما هو مريح للنفس فهو في واقع الامر شديد الخطورة. حيث إنه ينطوي على تكريس قعود الهمة ووهن القدرة» ويبرر للحكومات العربية المستبدة عجزها. والأهم من كل ذلك أن الهوس بالخارج يعمي الأبصار عن مهمة الإصلاح من الداخل، ويحد من إطلاق «الطاقات الخلاقة للانسان العربي من أجل تحقيق مستوى لائق من المعيشة». .....

إن أكثر ما يميز تقرير التنمية الإنسانية العربية الذي كُتب بنَفَس عروبي وتنويري ونهضوي هو صراحته وجرأته في وضع اليد على الداخل بدلا من الخارج. التقرير يدعو ضمناً وصراحةً إلى وقف الهروب إلى الخارج، وعدم اجترار معزوفة «العدو الخارجي» المملة التي أخذت تتكرر مرات ومرات وتحولت الى شماعة تعلق عليها إخفاقات الداخل. التقرير بهذا المعنى يشكل اضافة مهمة للأدبيات العربية حول التنمية ويقوي من عضد مدرسة الداخل في مقابل مدرسة الخارج.

وهذا ما يجعل تقرير التنمية الإنسانية العربية مثيراً للجدل، وربما مرفوضاً من الكتّاب والمفكّرين العرب الذين ما زالوا يجترون الخطاب التآمري والبكائي الساذج الذي يعبر عن فقر في المعرفة، وفقر أكبر في التفكير والتحليل والخيال. □




[عن التقرير ص٧٢]

# حـــوار مطـــوّل
# مع أ. كـــامـل الشـــريـف

**أجرى الحـوار : أ. نزيــه القسوس ***

يُعدّ الأستـاذ كـامـل الشـريـف مـن المفكرين الإسلاميين الكبار المعروفين على مستوى الوطن العربي والعالم الإسـلامـي والـكثير مـن دول الـعـالـم المختلفة. وهو يشغل عدة مناصب في الهيئات الإسـلاميـة المعروفة. فهو يشغل منصب الأمين العام للمجلس الإسلامـي الـعـالمي للدعوة والإغاثة، ومقره القاهرة. وهذا المجلس يضم في عضويته خمساً وتسعين مـنـظـمـة إسلامية عالمية في جميع أنحاء العالم الإسلامي. كما يشغل منصب رئيس المؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس الذي يتابع وضع مشاريع إعلامية وثقافية وسياسية عن القدس وتنفيذها، ومقره عمان. ورئيس الهيئة الإسلامية المسيحية للدفاع عن المقدسات. وقد انتخب عضوا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة منذ عام ١٩٦٣ حتى الآن، وشارك في جميع جلسات الرابطة. وانتخب عضوا في المجلس الأعلى العالمي للمساجد بمكة المكرمة منذ انشائه عام ١٩٩٦ حتى الآن، وشارك في جميع جلساته. وقد أسس جريدة الدستور الأردنية وما يزال رئيسا لمجلس ادارتها، كما أسس جريدة الـ«Star»الانجليزية.



عمل الأستاذ الشريف وزيراً للأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في الأردن منذ العام ١٩٧٧ وحتى عام ١٩٨٥. وكان عضوا في مجلس الأعيان لعدة دورات، وعمل سفيراً للأردن في عدة دول منها ألمانيا والباكستان وماليزيا وإندونيسيا والصين، بالاضافة إلى عدة دول إفريقية.

للأستاذ كامل الشريف الكثير من المؤلفات تتناول القضايا الإسلامية المعاصرة وحوار الحضارات وبعض الموضوعات الأخرى.

والحوار مع شخصية إسلامية مثقفة ومتنورة، مثل الأستاذ كامل الشريف، هو بدون شك حوار ممتع وثري ومهم جداً، خصوصاً عندما يتناول بعض القضايا الإسلامية المعاصرة، والخلافية، والتي يتحرج الكثيرون من الحديث فيها نظراً لحساسيتها في هذا الظرف العصيب الذي تمر به الأمة الإسلامية والعربية في مشارق الارض ومغاربها بعد أحداث الحادي عشر من أيلول، وبعد احتلال العراق وما يجري في الضفة الغربية وقطاع غزة من تقتيل وتشريد لأبناء الشعب الفلسطيني والعالم كله يتفرج على ذلك دون أن يحرك ساكناً.

* كاتب صحفي: جريدة الدستور الأردنيّة.

**كيف يمكن تغيير صورة الإسلام في الغرب بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر خصوصا أن المسلمين يتهمون بالجنوح نحو العنف.**

❖ ان نظرة الغرب المسيحي إلى الإسلام هي نظرة عدائية في البداية لأسباب عقائدية في المقام الاول لأن الإسلام دين التوحيد الخالص من كل شبهة. ثم أضيف إلى هذا العامل الدوافع الاستعمارية والتبشيرية. ولا ننسى أن المقاومة للمد الاستعماري كانت مقاومة إسلامية قادها علماء مسلمون، أمثال المهدي في السودان، وعبد القادر في الجزائر، وعبد الكريم في المغرب الأقصى (وعثمان دان فوديو) في إفريقيا الغربية، والشيخ شامل في القوقاز. وقد رافق هذه المجابهة العقائدية والسياسية سيل من الكتب والمسرحيات كتبها أعلام الفكر الغربي، أمثال فولتير وميلتون وبلزاك وغيرهم. وكانت الحملةالفكرية المركزة تدور حول اتهام الإسلام زورا بالعنف والتطرف والعدوان على حقوق الانسان. فمثلاً ملحمة فولتير (محمد والتعصب) جاء البيت الاخير فيها على لسان الرسول مخاطبا رفيقه أبا بكر قائلا: سوف ننهار حين يعترف بكرامة الانسان.

وقد جاءت أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر بصرف النظر عن هوية مرتكبيها لتفجر مخزوناً قديماً من الكراهية ترسب في كتب ومسرحيات وقصائد.

أما ما يجب عمله إزاء هذه الحملة القديمة الجديدة فهو توضيح حقيقة الإسلام أو الدعوة في مفهوم جديد، وهي قضية سهلة لأن مادتها موجودة في الإسلام نفسه. فالباحث المنصف يستطيع أن يتبين أن الإسلام دين يقوم على السلام وحسن الجوار، ويقيم الشورى، ويحترم كرامة الانسان، ويعترف بالديانات السماوية السابقة، ويحترم كتبها المقدسة وانبياءها، بل يجعل إيمان المسلم بها جزءاً من العقيدة الإسلامية نفسها. والمطلوب أن يحس المسلمون حكاماً ومحكومين بهذا الواجب، وأن يهتدوا لأدائه واستخدام الوسائل الحديثة التي تصل إلى أبعد الأنحاء بسهولة ويسر.

على أن الأهم - بالطبع - هو أن يصلح المسلمون من أوضاعهم في بلادهم، وأن يعتبروا أن أي شذوذ يتعارض مع مبادىء الإسلام، وأن أي كلام لن يكون له جدوى إذا كان الواقع يتعارض معه.

**كيف ترى واقع الحركات الإسلامية المعاصرة؟ وكيف يمكن أن تتجاوز هذه الحركات واقعها نحو إسلامية تلبي تطلعات التيار الإسلامي؟. ومن يتحمل مسؤولية العنف: الحركات الإسلامية أم الأنظمة أم الآخر؟**

❖ يصعب وضع الحركات الإسلامية كلها في إطار واحد، فهي تتفاوت بين التطرف والاعتدال، وبين المشاركة السياسية أو الإصلاح عن طريق المرحلية، أو اعتزال المجتمع والعمل خارج إطاره. غير أن الواقع المشترك لكل هذه الحركات هو الاقتناع بأن غيبة الإسلام عن الساحة هو المسؤول عن التدهور والعنف، ولكل فريق اجتهاداته وتجاربه. وقد أودعت تجاربي في بعض ما نشرته، وخصوصاً الكتاب الذي طبعته وزارة الاوقاف الاردنية (الفكر الإسلامي بين النظرية والتطبيق)، وخلاصته لأنني أميل للإصلاح المرحلي نظرا لظروف المجتمع المسلم وانفتاحه على المجتمعات الأخرى وتأثره بها، ونظرا للعلاقات الدولية المتشابكة على الاصعدة السياسية والاقتصادية والفكرية. وربما كانت الثورة الإيرانية والتغييرات في السودان دليلا على ذلك. ففي الحالتين نلاحظ أن البلدين في البداية عملا بمعزل عن التأثر بالمناخ العالمي، إلا أنهما مع الوقت اضطرا للخضوع لهذه المؤثرات والتجاوب معها، مما فرض تغيرات عميقة على الساحات الداخلية تضمن الانسجام مع التغيير. وقد أضفت في كتابي المذكور إلى الشعار السائد، وهو تطبيق الشريعة، كلمة نحو، أي نحو تطبيق الشريعة، واعتبرت أي خطوة إصلاحية ممكنة نحو المنهج الإسلامي هي خطوة

سليمة في الاتجاه الصحيح، وقلت ان من شأن الاتفاق على هذه النظرية أن توحد مسار الأمة وأن تمنع معارك داخلية لا ضرورة لها، وأن تبرز الأمر الجامع للأمة على حد التعبير القرآني. ومن نافلة القول أن أكرر أن الطرف الثاني في المعادلة وهو أن تدرك الحكومات الإسلامية رغبات الشعوب، وأن تتجاوب معها، وأن تقوم بنصيبها في هذه المعادلة. وإذا لم يتحقق هذا الشطر من المعادلة فإن أي كلام عن مرحلة الإصلاح يصبح هذرا لا معنى له. وربما كان اضطراب هذه المفاهيم وعدم وضوحها سببا مباشرا لموجة العنف في المنطقة.



**للأستاذ كامل الشريف كتاب مهمّ عن واقع تجربة الإخوان المسلمين في فلسطين. كيف ترى واقع الإخوان اليوم، خاصة في العراق بعد قبولهم المشاركة في عضوية مجلس الحكم الانتقالي الذي شكله الاحتلال؟**

❖ الواقع أن علاقتي بحركة الإخوان المسلمين لم تتعد التجربة الجهادية، سواء في فلسطين ضد الصهيونية أو في قناة السويس ضد الانجليز، وقد سجلت التجربتين في كتابين أحدهما بعنوان (الإخوان في حرب فلسطين) والآخر بعنوان (المقاومة السرّية في قناة السويس). ولم يكن لي أي نشاط يذكر مع الحركة علي الصعيد السياسي المحلي في أي بلد عربي. لذلك يصعب أن أعلق على مشاركتهم في عضوية مجلس الحكم الانتقالي في العراق. أما من حيث المبدأ، فقد عبرت دائماً عن رفض الاحتلال الأجنبي للعراق، وضرورة أن تخرج الجيوش الغازية ويعود العراق لأهله بلداً مستقلاً يحكمه العراقيون وحدهم.

أما بالنسبة لفلسطين، فقد استنكرت دائماً محاولة إسرائيل بتأييد من الولايات المتحدة وضع المقاومة الوطنية الباسلة في إطار الإرهاب مما، يدل على الانحياز الأعمى وفقدان الضمير لأن الارهاب الحقيقي هو ما تقوم به إسرائيل. فهي لم تكتف باحتلال أرض لا تملك منها أي حق وتشريد أهلها منها، بل تلاحق من بقي منهم بالقصف والاغتيال وتدمير المنازل على ساكنيها من النساء والشيوخ والاطفال. هذا الموقف الأرعن الظالم يفرض وجود مقاومة وطنية، كما يفرض على العرب والمسلمين دعمها بكل الوسائل. وهذه كانت منطلقات الجهاد التي أكرمنا الله بالمشاركة فيها سواء في فلسطين أو قناة السويس.

**أين وصل الحوار بين السنة والشيعة الذي بدأ منذ بدايات القرن الماضي ثم توقف؟ وهل ثمة عوائق تحول دون استمراره ونجاحه؟ وأين يقع المشترك بينهما؟ وهل يمكن طي الخلاف السياسي بعدما انتهت الخلافة الإسلامية؟.**

❖ كنت دائما من الداعين للوفاق بين السنّة والشيعة. وأذكر عند تأسيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في منتصف الستينات من القرن الماضي أنني دعوت لإدخال عناصر من الشيعة في إيران ولبنان للمجلس، وقدمت هذا الاقتراح خمس سنوات متتالية، وكان اقتراحي يهزم في كل مرة.

لقد ربطتني علاقات ممتازة بالشخصيات الإيرانية. وكثير منهم شاركوا في مؤتمر القدس في الخمسينيات من القرن الماضي الذي تشرفت بإدارته. كما أنني كنت من أوائل الذين حاوروا الإمام الخميني ومساعديه بعد نجاح الثورة الإيرانية. وأعتقد أن الظروف الدولية والإقليمية

الحاضرة تحتم هذا الوفاق أكثر من أي وقت مضى. أقول ذلك دون أن أجهل وجود بعض الخلافات من الفروع التي تهم المختصين في علوم الشريعة والفقه، وهي خلافات موجودة أيضا بين المذاهب المختلفة لأهل السنة. لكن كل ذلك يجب أن لا يمنع التعاون وتنسيق الجهود لحماية العقيدة الإسلامية واستقلال أوطان المسلمين التي تتعرض الآن لهجمة ضارية نتيجة للأسس والجذور. فالأمور المشتركة هي أكبر بكثير من الخلافات الفرعية.

**باعتباركم من المشاركين في الحوار الإسلامي المسيحي، أين وصل هذا الحوار؟ وماهي جدواه؟ وهل يمكن الاستعاضة عن هذا الحوار مع رجال الدين المسيحي بمثقفين يمثلون الغرب؟ ثم ان هذا الحوار يجري على أساس المشترك الانساني بعيدا عن الجدل العقائدي فهل استطاع الخطاب الإسلامي المعاصر الوصول إلى الآخر وأن يقنعه ويؤثر فيه؟**

❖ من خمسين جلسة حوار إسلامي مسيحي في أكثر العواصم العالمية.هذا الحوار ينطلق من عدة معاني إسلامية أولها أن الإسلام يعترف بأهل الكتاب ويجلّ أنبياءهم وكتبهم المقدسة، بل يعتبر الإيمان بها جزء من الإيمان بالعقيدة الإسلامية نفسها، والآية القرآنية صريحة في هذا المقام : ﴿*قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيّون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون*﴾.

ولقد حاور علماء الإسلام هذا الكتاب منذأقدم العصور. فقد حاوره النبي عليه الصلاة والسلام في مسجده في المدينة المنورة، وكذلك خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس، وكان للمسيحيين مشاركة فاعلة في الدواوين الإسلامية في دمشق وفي بغداد، كما كان لهم فضل كبير حتى على اللغة العربية، فكثير من الموسوعات العربية كتبها كتاب مسيحيون. فليس هناك إشكال من ناحية الجذور في هذه القضية طبعاً. هذا مع الاعتراف أيضاً بأن هناك خلافات عقائدية عميقة لا شك فيها، لكن الأسلوب للتغلب على هذه العقبات أو اختصارها أو التممية على آثارها في العلاقات هو بالمزيد من الحوار البناء الذي يديره علماء يدركون أبعاد هذه القضايا وانعكاساتها. وهذا هو المنطلق الذي لا أشك فيه والذي كان دائماً هو الدافع لهذه الحوارات.

في الزمن الحاضر يصبح الحوار أكثر حتميّة وأكثر ضرورة لأن أي مشكلة صغيرة يمكن أن تتسع وأن تؤثر على الاستقرار العالمي وعلى التعاون بين الشعوب. ثم إن من الواضح أن العالم كله رغم ما يشيع فيه من القلق ومن الحروب الداخلية لكنه يتجه نحو الوحدة ونحو التعاون. وكأن العالم قد أدرك أن حكم العالم بالقوة المسلحة وانفراد قوة واحدة بالعالم كله لا يمكن أن يتحقق، فلذلك أصبح يستعيض عن ذلك بالتعاون، خاصة أن التعاون المخلص يمكن أن يحقق المصالح المشروعة لكل فريق دون حيف أو ظلم.

إنني اعتقد أن المبادىء الإسلامية العالمية الداعية إلى الأخوة الانسانية والتعاون من فوق الخلافات الفرعية ربما يكون من الضروري الآن أن تبرز وأن يبينها العلماء والمفكرون المسلمون.

من ذلك فأنا أخلص الى أن الحوار ضروري، وأن المسلم حينما يحاور ينطلق من قواعد اسلامية ثابتة تقر هذا الحوار، وليس عليه أن يتنازل عن شيء. فاذا كان هناك فريق يجب عليه أن يتنازل من أجل إنجاح الحوار، فهو الفريق غير المسلم لأن في الأديان الأخرى ليس هناك اعتراف بالإسلام ولا بنبيه. إذن فمجرد الحوار مع المسلمين يشكل معنى للتنازل عن بعض المرتكزات الدينية عندهم، والمسلم لا يحتاج إلى أي تنازلات.

وقد نسأل: ماذا حقق الحوار حتى الآن؟ والجواب أنه ليس هناك نتائج ملموسة يمكن أن تتوضح، لكن يزداد عدد

العلماء والمفكرين في الغرب الذين يقدرون الإسلام ويدعون للحوار معه ويخلصون أنفسهم من ربقة المفاهيم القديمة الموروثة، مثل السيد اسبيزيتو في أمريكا، الذي كتب سلسلة كتب عن الإسلام (ما هو الإسلام؟) وعن التهديد الإسلامي (هل هو حقيقة أم أسطورة؟) وغيره من الكتاب، مثل نورمان دانيال في كتابه عن الإسلام والغرب، كذلك الراهب الفرنسي ميشال لونغ، الذي له كتاب قيّم يقول فيه إن الإسلام هو الخندق الأخير للتوحيد، وإن المسيحية يجب أن تستفيد من القرآن الكريم وتستخدمه في قراءة الإنجيل، وكأنه يشير الى الآية الكريمة: ﴿ولكن كونوا ربّانيين فيما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾. وهو يريد أن يكسب الإنجيل المعنى الربّاني القرآني. وهكذا فأنا أعتقد أن الحوار له فوائد من هذه النواحي. ربما لم يؤثر بعد على القضايا السياسية تأثيراً حاسماً لكن هذه النتائج متروكة للمدى الطويل، ويجب أن يرافقها الصبر والتحمل والمثابرة. ونحن سنستمر في هذا الحوار لأننا نعتقد بجدواه وأنا أدعو دائما إلى تعميقه وأن يشمل أيضا المثقفين من غير رجال الدين.

وفي الوقت الذي أؤيد فيه الحوار مع رجال الدين المسيحي ومع المثقفين المسيحيين، أرفض تماما أي حوار مع اليهود. وقد يتساءل بعض الناس: لماذا ترفض الحوار مع اليهود مع أنهم أهل كتاب؟ وطبعا فالسؤال هنا وجيه لأن الإسلام يعترف باليهودية، ويحترم سيدنا موسى عليه السلام وآباء إسرائيل، وقد ورد ذكر بعضهم في القرآن الكريم ووصفوا بأنهم مسلمون، بالمعنى الواسع لكلمة إسلام التي تعني الاستسلام لمشيئة الله عز وجل. لكن المشكلة بالنسبة لمعظم رجال الدين اليهود الحاليين أنهم يؤيدون قيام إسرائيل على رفات الشعب الفلسطيني، وأنهم يحرّفون كلام الله ويحرّفون التوراة بل يأخذون من التوراة، عبارات في غير اطارها ليبرروا قتل العرب واغتيال الزعماء الفلسطينيين ووضع غلاف ديني على هذه الجرائم. وقد استمعنا لبعض حاخامات اليهود في إسرائيل يقولون هذا الكلام، ويستندون على كلمات لسيدنا موسى عليه السلام. ويستحيل أن يصدر ذلك عن نبي. فمثلا يقولون إن موسى في إصحاح العدد من العهد القديم لام أحد القادة اليهود الذين جاءوا من غزوة إلى عامون أي عمان الحالية، لأنه أسر عددا من الأطفال ولم يقتلهم. وهذا بالطبع لا يمكن أن يصدر عن نبي كريم مثل موسى عليه السلام. لذلك، فإن هذا ما يجعلنا نتحرر من الحوار مع رجال الدين اليهود لأنهم يساندون العدوان مساندة صريحة ومساندة يحاولون أن يكسبوها صفة دينية. فأي حوار معهم يعني الاعتراف ضمنا بما يقولون.

لقد شاركت شخصيا في الفترة الأخيرة في وفود إسلامية نظمتها رابطة العالم الإسلامي في مكة زرنا فيها عدة دول أوروبية، والتقينا برجال البرلمانات ورجال الدولة والمفكرين في الجامعات، وتكلمنا معهم وحاورناهم، وقد شعرنا في الحقيقة أن كثيرا من سوء الفهم ومن الأفكار الموروثة يمكن إزالتها. وقد استطعنا ذلك بالفعل وظهر ذلك في الصحف. وقبل ذلك زرنا أيضا الولايات المتحدة الامريكية قبل عدةسنوات، وكذلك التقينا مع رجال الصحافة ومع أعضاء من الكونغرس، وجرى حوار جدي شعرنا بعدها أن هناك الكثير من الأفكار الخاطئة قد أزيلت. وهذا يدل على أن الحوار مسألة جيدة، ويجب التوسع فيه من قبل جميع المنظمات الإسلامية والحكومات الإسلامية، وأنا هنا اؤكد بأن الاتصال له فوائد كثيرة.

**يشكل المؤتمر الإسلامي واحداً من أهم المنابر الإسلامية التي تناقش قضايا المسلمين وهمومهم. ماهي آفاق عمل هذا المؤتمر؟ وما هو حجم الصدى التي يتركه في العالم الإسلامي ولدى الآخر؟.**

**من ناحية أخرى، يتهم معظم علماء المسلمين بأنهم يرفضون التعامل مع بعض معطيات العلم الحديث. خصوصاً عدم اعترافهم بالرصد الفلكي لهلال شهر رمضان المبارك. ما تعليقكم على ذلك؟**

❖ منظمة المؤتمر الإسلامي هي تعبير عن رغبة الشعوب الإسلامية في الوحدة وتطلعها إلى قيام أمة واحدة كالأمة الواحدة التي دعا لها القرآن الكريم حينما قال ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾. والفكرة من قيام المنظمة بدأت منذ فترة طويلة، وعلى وجه التحديد، منذ انهيار الخلافة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى. فبعد هذا الانهيار مباشرة قامت حركات كثيرة تدعو إلى قيام تعاون بين وحدات الأمة الإسلامية يحل مكان الخلافة الإسلامية المنهارة. وأذكر على سبيل المثال المؤتمر الإسلامي الأول الذي دعا له الملك عبد العزيز آل سعود في مكة المكرمة، ثم تتابعت المؤتمرات الإسلامية، ومنها المؤتمر الإسلامي في بيت المقدس الذي عقد عام ١٩٥٢ برئاسة وتوجيه جلالة المغفور له الملك حسين وغير ذلك من المؤتمرات حتى انتهت الفكرة الى الملك فيصل آل سعود، رحمه الله، في منتصف الستينيات من القرن الماضي. وقد تبناها بقوة وأخذ يدعو الدول إلى إقامة منظمة المؤتمر الإسلامي تحت عنوان التضامن الإسلامي، بديلاً عن كلمة الوحدة الإسلامية، لأن الوحدة ربما كانت بعيدة المنال بسبب الخلاف بين الدول الإسلامية، ومشاكلها، وعلاقاتها الدولية المختلفة، ودرجات انتمائها للإسلام، وقد كان قيام المنظمة في حد ذاته انجازاً كبيرا. وقد حضرت شخصياً الاجتماعات الأولى لوزراء الخارجية وعلى مستوى القمة، وشعرت كيف أن هناك بعض الدول كانت تقاوم قيام المنظمة مقاومة شديدة، حتى أن الرئيس عبد الناصر، رحمه الله، كان يصف هذا التحرك بأنه تحرك مشبوه، ويقول بأن العالم سيبدو غير جميل إذا ما توزعت الدول على محاور الأديان. لكن جاء إحراق المسجد الأقصى المبارك على أيدي الصهاينة في عام ١٩٦٩. هذا الحريق كان نذيراً للمسلمين، فالتقوا في الرباط وقرروا إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي.

قامت هذه المنظمة بجهود كبيرة. فقد شاركت في مفاوضات البوسنة، وفي مقدونيا، وفي مناصرة مسلمي الفلبين وفي إقامة البنك الإسلامي للتنمية، ونظمت الكثير من المؤتمرات الإسلامية المتخصصة على صعيد الزراعة والصناعة والتجارة بغية توحيد الجهود الإسلامية.

يجب أن نعترف بأن عمل المنظمة أقل بكثير مما يتوقعه المسلمون وما يريدونه لأنها تعكس أوضاع الدول الإسلامية وما تعانيه من ضعف ومن انقسام لكنها خطوة مهمة ينبغي البناء عليها. ولذلك نحن لا نؤيد الذين ينتقدون المنظمة لأنهم لا يدركون حقيقة ما تعانيه بسب أوضاع الدول الإسلامية المختلفة.

إننا نرى أن من الضروري إبقاء المنظمة البناء عليها، وأن تهتم الدول بها أكثر، والخطوة الأولى في هذا المجال أن تكون هناك قناعة لدى هذه الدول أن الإسلام يشكل رابطة حقيقية بين الشعوب الإسلامية، وأنه لا بد من الالتزام بمسؤولياته ومقتضياته والعمل ضمن هذا الإطار.

أما بالنسبة للشق الثاني من السؤال حول العلماء المسلمين، فإنه لا شك بأن هناك حالة من التأخر ومن الجمود عند البعض - وأقول عند البعض لأن هذا لا ينطبق على جميع العلماء - لأن هناك علماء مستنيرون يواكبون التطور الحديث، ويدعون إلى نظريات تنسجم مع مطالب الأمة الإسلامية ومع حاجاتها. لكن توجد فجوات وتوجد جماعات لا تزال تعيش في الماضي، وأعتقد أن الزمن كفيل بمعالجة هذه المشكلة لأن التأخر والجمود لا مكان لهما بالتأكيد ومصيرهما الانهيار.

الإسلام هو دين تقدم، ودين علم، ودين وحدة، وأذكر كلمة للملك حسين رحمه الله حين كان يقول: إن الإسلام متقدم علينا، وإن على المسلمين أن يجاهدوا وأن يطوروا أنفسهم حتى يلحقوا بالمبادىء الإسلامية لأن الإسلام يشكل طفرة واسعة نحو التقدم والازدهار.

**بعد مؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد في داكار أغلق باب الجهاد أو هكذا يبدو. فأين تقع بمفهومكم أعمال المقاومة ضد الاحتلال؟ وهل تجميد الجهاد كان موقفاً سياسياً فقط؟**



❖ الحقيقة أن الجهاد فريضة إسلامية لا يمكن، أو لا يحق، لأي جهة أن تدعي إغلاقه بأي حال من الأحوال. وهو فريضة اقترن في القرآن الكريم ببذل المال والنفس في سبيل الله. وقد قال سبحانه وتعالى: ( يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من غذابٍ أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم). فالجهاد فريضة مقترنة بالإيمان، وهي لا تعني بالضرورة العمل العسكري أو النضال بالسلاح. والمعلوم أن الجهاد أنواع. وقد جاء في الحديث المشهور للنبي عليه الصلاة والسلام بعد عودته من إحدى غزواته: عدنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر. وحين سئل عن الجهاد الأكبر قال هو جهاد النفس.

والجهاد على درجات: جهاد باللسان، وجهاد بالمال، وجهاد بالقلب، وأيضاً جهاد بالسلاح . وهذه الأنماط من الجهاد لا يمكن بحال من الأحوال أن يدعي فريق من الناس أنه أغلقها وأنها تدخل في نطاق سلطته. والذي حدث في داكار لا شك أنه كان خطأ. وإذا كان له من مبرر فهو ربما الظروف السياسية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، حيث كان يسيطر وهم كبير على أنه من الممكن الوصول إلى سلام مع اسرائيل. وثبت بعد ذلك أن هذا الوهم كان في غير محله لأن أسرائيل لا تريد السلام، وهي دولة قائمة على العدوان وطبيعة العدوان أن يستمر وأن يتسع باستمرار. وإذا حدث القول المأثور: رب ضارةٍ نافعة، فلا شك أن عناد إسرائيل وتزمتها وتصميمها على العدوان المستمر، وما ترتكبه من مضاعفات بحق الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة، قد جمع الكلمة الإسلامية مرة أخرى، وأثبت لأصحاب مؤتمر داكار أن موقفهم لم يكن صائباً في الإعلان عن تعطيل الجهاد ضد إسرائيل. وأنا من الذين يعتقدون بأن دوام النضال ضد إسرائيل بكل أنواعه هو فريضة دينية، ويجب أن تستمر دائماً، ويجب أن تقتصر على المناطق المحتلة، وإنما من واجب المسلمين جميعاً أن يقاتلوا النفوذ الإسرائيلي حيثما وجد، وأن ينضموا إلى إخوانهم في فلسطين المحتلة.

إنني أعتقد جازماً بأن اسرائيل لا تستطيع أن تواجه عالماً إسلامياً متحداً مستعداً لبذل الدماء في سبيل إنقاذ الأرض والمقدسات الإسلامية لأن هذه تعد فريضة على المسلمين.

**تثير الفتوى في العالم الإسلامي جدلاً كبيراً. فهل يمكن اعتماد مرجعية إسلامية واحدة للفتوى؟ ثم كيف للمسلم أن يطمئن إلى صحة ما صدر من مفتاوى تبدو متناقضة أحياناً؟**

❖ الحقيقة أن الفتوى كانت دائماً اجتهاداً شخصياً، وهذا من باب التقييم في الدين، حيث تتعدد الآرء وبالتالي يستطيع الإنسان أن يجد مخارج للمشكلات من الآراء المختلفة، وهذا هو الأصل. لكن الفتوى لها شروطها: فلا بد أن يقوم بها أهل العلم والتخصص والمعرفة والقدرة على المقارنة بين الآراء المختلفة وإعطاء الفتوى الصحيحة، ونحن بالطبع نرى الآن بعض الشباب يمارسون الفتوى وهم ليسوا على علم وعلى تخصص فيها، وقد يخرجون بآراء شاذة أحياناً تبرز العنف وتبرر إراقة الدم المسلم وهذا بالطبع خطأ كبير.

إنني أعتقد أن تعدد المشكلات وبروز قضايا لم تكن

معروفة عند الأسلاف أصبح يحتم تدريجياً إنهاء الفتوى الفردية. لذلك قامت المجامع الفقهيه، كالمجمع الفقهي المتصل بمنظمة المؤتمر الإسلامي، أو المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي، أو مجلس البحوث الإسلامية التابع لجامع الأزهر، كمراجع متخصصة. ونحن ندعو حتى إلى توحيد هذه المجامع، ليس بالضرورة في مجمع واحد، لكن القضايا الكبرى ينبغي أن تمر على لجان مشتركة من هذه المجامع. وهنالك، على سبيل المثال، مشكلات الأقليات الإسلامية، ووضع المسلم الذي يعيش في مجتمع غير إسلامي حيث يوقعه ذلك في مشكلات، وهنا يصبح من الضروري توحيد المراجع الإسلامية. وأنا شخصياً لا يزعجني أن تتعدد المراجع طالما كانت متخصصة وقائمة على الدراسة المتأنية والسليمة.

**طرحت في السنوات الأخيرة أفكار كثيرة من بعض الكتاب الغربيين حول علاقة الإسلام بالغرب. فكيف يمكنكم الرد على هذه الأفكار، خصوصاً، ما ورد في كتاب صدام الحضارات أو كتاب نهاية التاريخ؟ ثم كيف ترى مستقبل الإسلام اليوم؟ وما هي التحديات التي تواجهه؟ وكيف يمكن للمسلمين تجاوزها؟**

❖ كنت ذكرت في البداية الرصيد التاريخي للعداوة بين الغرب والإسلام، ووجود كتاب يتحدثون عن صدام الحضارات، مثل هننجتون وخوكوياما وغيرهم، الذين يؤكدون صدام الحضارات. هؤلاء الكتاب واهمون لأن الحضارات متداخلة، وليس هناك حدود فاصلة بين حضارة وأخرى. فالحضارة الإسلامية تركت أثرها فيما يسمى الحضارة الغربية الآن، وما نزال نحن في العالم الإسلامي نحتاج الى ما أفرزته الحضارة الغربية من تجارب في حقول العلم المختلفة. وفي يدنا نحن أن نشعل صراع الحضارات، أو أن نجعل علاقة الحضارات علاقة تفاعل وتعاون وتبادل في الخبرات والتجارب. فالقرار هو للإنسان قبل كل شيء. وهذه الحضارات ليس محكوم عليها أن تتصادم بأي حال من الأحوال. وكما تقول موسوعة لاروس الفرنسية: فإن الفلسفة في العصور الوسطى كانت تعرف بالفلسفة الإسلامية، وأن كبار المفكرين المسلمين أسهموا في صناعة الحضارة الغربية، سواء في الفلك أو في علوم مختلفة أخرى. لذلك فإن القول بحتمية صراع الحضارات هو قول تافه مردود، وقد رد عليه الكثيرون حتى من الكتاب الغربيين.

على كل حال، نحن من دعاة التعاون والتفاهم بين الحضارات، ونعتبر الحوار الذي يجري بيننا وبين المفكرين في الغرب هو أسلوب من أساليب التفاعل بين الحضارات والثقافات المعاصرة.

أما نظرتي للمستقبل بالنسبة للإسلام، فأنا لا أشك للحظة واحدة أن ما يجري سيكون في صالح الإسلام، وإذا كان المسلمون قد فشلوا في إصلاح أنفسهم وفي تقديم الإسلام في صورة معاصرة، فإن الله قد يكون سلط عليهم هذه الضغوط القادمة من المغرب حتى يضطرهم إلى إصلاح بيوتهم على أساس إسلامي، ثم الإسهام في مسيرة الحضارة كما فعل أسلافهم في الماضي.

ويحضرني بهذه المناسبة قول كنت قد قرأته للمفكر الفرنسي أندريه بالروه في كتابه عن الحضارة. كان يقول: إن فتوحات استكندر الكبير لم تخدم الدولة الرومانية ولا الفارسية، وإنما خدمت الإسلام في المدى الطويل. وقد انتهى هذا المفكر الى رأي ربما مردود عليه حينما قال: لهذا السبب فإن الاسكندر الكبير وصف في القرآن الكريم بأنه ذو القرنين، ووصف بأنه من الرجال الصالحين.

والمهم في هذه المسألة أن هناك تفاعلات عالمية تقع أحياناً تخدم غرضاً بعيداً ليس واضحاً عند المعاصرين. وأعتقد أن ما يجري الآن سيصب في النهاية في مصلحة الإسلام. لكننا نريد أن يقع هذا التغيير، وهذا تصديق لقول الله عز وجل: ﴿*إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون*﴾

لكن الذي نتمناه نحن هو أن يجري التغيير المحتوم بأسلوب سلمي بناء قائم على التعاون والتفاهم وليس بأسلوب عنيف يتخلله التطرف وسفك الدماء بين الناس. وهذه الأمور بيد الله عز وجل، وهو الذي يقدرها كما يشاء. □

# مفكرة شهر تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣

## برئاسة سموّ الأمير الحسن ورعايته واستضافته

[أنظر العدد (٢١٢)، ص ٦١]

### الأسبوع العلميّ الأردنيّ التاسع

«دور التكنولوجيا الحيوية في الاقتصاد الأردني»

المجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا/عمّان

عمّان؛ ٦-٨/١٠/٢٠٠٣

شارك في هذا الأسبوع، الذي أصبح تقليداً في المفكرة العلمية الوطنية، باحثون من معهد بحوث التكنولوجيا الحيوية التابع لمركز البحوث الزراعية في جمهورية مصر العربية، ومن المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة (إيكاردا) والجامعة الأمريكية في بيروت؛ إضافة الى باحثين من مختلف الجامعات الأردنية ومراكز البحث العلمي ومممثلين عن المؤسسات الوطنية والشركات الدوائية والمنظمات العربية والدولية في الأردن.

أفتتح فعاليات الأسبوع العلمي التاسع، مندوباً عن جلالة الملك عبدالله الثاني، سمو الأمير الحسن. وفي كلمته الافتتاحية ، قال سمو رئيس المنتدى وراعيه: إن الثورة التي شهدتها التكنولوجيا الحيوية في السنوات الأخيرة تُبشر بنقل ظروف معيشة الانسان الى آفاق غاية في الأتساع والتطبيقات التي تعود بالفائدة على الدول النامية. وأضاف قائلاً: إن عام ٢٠٠٣ شكل علامة فارقة في تاريخ التكنولوجيا الحيوية والعلوم الحياتية؛ فكان... الاختراق العلمي بإنجاز الخريطة الجينية البشرية. وقال سموه: ان نشر الخريطة الجينية يُعد ثورة في فهم الأسباب الوراثية لبعض الأمراض؛ الأمر الذي يعني اكتشاف طرق جديدة للتشخيص والعلاج ومنع حدوث بعض الأمراض نتيجة للمعرفة التقنية في بيولوجيا الإنسان. وأعلن سموه عن توجه المجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا، الذي يرأسه، إلى تأسيس مركز للتكنولوجيا الحيوية على المستوى الوطني بالتعاون ممع المراكز البحثية المعنيّة.

### المؤتمر السنوي ٢٠٠٣ لنادي روما بالتعاون مع منتدى الفكر العربي

«البحث عن أرضيّة مشتركة للسلام والتنمية»

عمّان؛ ٧-١٠/١٠/٢٠٠٣

ناقش هذا المؤتمر عدداً من المحاور والموضوعات المتعلقة بالسلام والتنمية المستدامة. وشارك فيه نخبة من المفكرين العرب وغير العرب.

سمو رئيس المنتدى وراعيه دعا في افتتاح المؤتمر إلى ضرورة التركيز على محاربة الفقر بكل مظاهره وأنواعه، وعلى كيفية بناء مجتمعات أهلية (مدنية) وأسواق متكافئة، وعلى تعزيز التعاون الدولي ضمن الأطر والمفاهيم عبر القطرية. كم أكد أن الفقر ونقص التعليم والرعاية الصحية والأمن الإنساني هي من بين المجالات الأكثر أهميّة التي تستدعي إحداث تغيير إيجابي.

### المعهد الملكي للدراسات الدينية

المؤتمر الأكاديمي الدوليّ الثّامن

«المخاطر والأزمات المعقدة واحتمالات المستقبل الاجتماعي»

عمّان؛ ١١-١٣/١٠/٢٠٠٣

طرح المشاركون في هذا المؤتمر عدداً من الموضوعات المهمة حول المخاطر المتزايدة التي يتعرض لها أمن الأفراد والمجتمعات في العالم، خصوصاً بعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ .

كذلك ناقشوا فكرة الخوف من مستقبل متقلب؛ مُشيرين الى أن احتمالات المستقبل أصبحت واضحة المعالم، وأخذت هذه الاحتمالات والسيناريوهات تتحكم في صنع القرار محلياً ودولياً بشكل أكبر فأكبر على جميع المستويات.

**المؤتمر السنوي لمؤسسة ساساكاوا اليابانية للسلام**
بالتعاون مع مجلس الحسن
«رؤيا لتعزيز السلام والبيئة الإنسانية في الشرق الأوسط»
عمّان؛ ٢٥/١٠/٢٠٠٣

شارك في هذا المؤتمر نخبة من المفكرين والمثقفين المحليين والعرب والأجانب.

وافتتح المؤتمر سموّ الأمير الحسن بكلمة جامعة تحدث فيها عن اخلاقيات التضامن الانساني وثقافة السلام وأهمية الثقافة في عالمنا المعاصر. كما حثّ على تبني برامج عمل مدروسة لمحاربة الفقر ونشر العدالة ومواجهة التحديات التي نواجهها.

المشاركون في المؤتمر ناقشوا آخر المستجدات المتعلقة ببرلمان الثقافات ومبادرة شركاء في الإنسانية [أنظر أعدادنا السابقة]؛ إضافة الى الآثار السلبية (للجدار) في فلسطين، وعرض عن المشروع التوثيقي للقدس الذي تقوم به الجمعية العلمية الملكية (بتوجيهات من سموّ الأمير الحسن) بالتعاون مع جامعة هارفرد الأمريكية، وورقة نادي روما عن مجتمع المعرفة [أنظر ص ٤٥-٥٣ من هذا العدد].

**منح شهادة الدكتوراة الفخرية في الدّراسات الدّينية،**
**باقتراح من سمو الأمير الحسن، إلى**
قدس الأب الأستاذ الدكتور إدوارد لورنس كارتر
رئيس كلية مورهاوس/ أتلانتا/ جورجيا - الولايات المتحدة الأمريكية
(جامعة مارتن لوثر كنغ) - جامعة آل البيت/ المفرق/ الأردنّ؛ ٧/١٠/٢٠٠٣

رعى الحفل سمو رئيس المنتدى وراعيه .

وفي كلمة ارتجلها سموّهُ، أكد أن الوقت قد حان كي تجتمع الشعوب على ترسيخ المضمون الأساسي للأمن؛ ألا وهو التركيز على احتياجات الإنسان وكرامة الإنسان أياً كان وأنىّ كان. وقال سموه: وددت أن أثبت لضيفنا الكبير أن ما يجمع بيننا من عُرى الصداقة مبنيّ على السعي الى خدمة الإنسان وخدمة المجتمع.

والجدير بالذكر انّ الضيف المُكرّم د. كارتر مُيز عالمياً بطلاً للسلام والحرية ومدافعاً شخصياً عن حقوق الإنسان وكرامة الإنسان. وقد أنشأ معهد غاندي للتوفيق والصلح في كلية مورهاوس، المقرونة بالإرث النبيل الذي خلّفهُ د. مارتن لوثر كنغ.

## اجتماع لجنة الإدارة رقم (٥/٢٠٠٣)

### عمّان؛ الأحد ١٦/١١/٢٠٠٣

الحضور: الأعضاء د. هشام الخطيب (رئيس اللجنة)، د. علي عتيقة، أة ليلى شرف، أ.عبد الملك الحمر(الأمين العام). كما حضر من المنتدى: السيّد أحمد الخطيب (مدير الشؤون الإدارية والماليّة).

بعد إقرار محضر الاجتماع السابق (٢٠٠٣/٤) الذي عُقد في ٢٠٠٣/١٠/٥، ناقشت اللجنة الموضوعات الآتية:

١- إقرار محضر الاجتماع السابق بتاريخ ٢٠٠٣/١٠/٥ .

٢ - الاجتماع السنوي العام وندوة «أسس تقدم الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين؛ عمّان ٨ - ٢٠٠٣/١٢/١٠ .

٣-مشروع الموازنة التقديرية للسنة المالية ٢٠٠٤ .

٤ - مبنى المقر الدائم.

٥ - متابعة تنمية الموارد المالية.

## جدول الأعمال

### الاجتماع التشاوري لندوة

### «الشباب العربي وتحديات المستقبل»

### عمان؛ الثلاثاء ٢٠٠٣/١٢/٢

١ - كلمة ترحيبية لأمين عام المنتدى.

٢ - تعريف بأهداف الندوة .

٣- مناقشة المحاور الرئيسية المقترحة للندوة.

٤ - تنظيم جلسات الندوة لعام ٢٠٠٤ .

٥ - ترشيح بعض تجارب الدول المشاركة بشأن الشباب والتنمية.

٦ - أي اقتراحات يراها المندوبون.

سلسلة اللقاءات الشهرية

اللقاء رقم (١٠/٢٠٠٣)

## «الأمّة والإشكاليّة الحضاريّة»

المحاضر:

**أ.د. حامد بن أحمد الرفاعي**

رئيس المنتدى الإسلامي العالمي للحوار

(الثلاثاء ٢٠٠٣/١١/٤)

[التفاصيل في العدد القادم].

---

منتدى الفكر العربي Arab Thought Forum

### لوحة شرف كبار المتبرعين للمقر الدائم

صاحب السموّ الملكي الأمير الحسن بن طلال

سمو الشيخة الدكتورة سعاد الصباح

السادة بنك الإسكان للتجارة والتمويل

السادة شركة الإسكان للاستثمارات السياحية والفندقية

سعادة الأستاذ محمد علي النقي

معالي الاستاذ عبد الملك يوسف الحمر

السادة المركز العربي للتجارة والعقار

السادة / البنك الاسلامي الاردني

معالي الدكتور كمال الشاعر

معالي الدكتور عبد العزيز بن عبد الله بن تركي السبيعي

سعادة المهندس عمر هاشم خليفتي

السادة / شركة محمد عبد المحسن الخرافي وابناؤه

سعادة الاستاذ علي غندور

السادة / أمانة عمان الكبرى

السادة / جامعة فيلادلفيا

سعادة الاستاذ رشيد المعراج

سعادة الدكتور عبد العزيز سلطان العيسى

معالي الاستاذ عبد الله بشاره

معالي الدكتور علي عتيقه

السادة / الهيئة العربية للاستثمار والانماء الزراعي

# حوار بين المنتدى
# ووفد المجالس الأمريكيّة للشّؤون الدّوليّة

جرى هذا الحوار المستفيض في فندق ميريديان/عمّان يوم الإثنين ١٣/١٠/٢٠٠٣. ونوقشت فيه بصراحةٍ تامّة وجهاتُ النّظر العربيّة إزاء السّياسة الأمريكيّة، خاصّة في فلسطين والعراق.

تألّف الوفدُ الأمريكيّ من عشرة أشخاص برئاسة السيّدة ماريا زاميت Maria Zammit. أمّا المنتدى فقد مثّله (وعددهم عشرة أيضاً): السيّدة ليلى شرف؛ أ. عبد الملك الحَمَر (الأمين العام)؛ د. هشام الخطيب؛ د. علي عتيقة؛ الشّريف فوّاز شرف؛ أ.عدنان أبو عودة؛ د. طاهر كنعان؛ أ.كامل الشّريف؛ د. فوزي غرايبة؛ د. ابراهيم بدران.

والجدير بالذّكر أنّ المجالس الأمريكيّة للشّؤون الدّوليّة هي منظّمات غير ربحيّة وغير حزبيّة، تأسست عام ١٩١٨. وتضمّ في الوقت الحاضر ٨٠ مجلساً و ٢٦ منظّمةً أخرى.





## كتّاب هذا العدد

**أ. أديب علم الدين**
سفير الجمهورية اللبنانية
لدى الأردن
تلفاكس:٥٩٢٩١١١ - ٩٦٢٦+
عمّان - الأردن

**د. الحبيب الجنحاني**
استاذ التعليم العالي/كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
الجامعة التونسية
هاتف: ٨٩٢٣٣٠ - ٢١٦٧١ +
ناسوخ (فاكس): ٧٩٨١٤٦ - ٢١٦٧١ +
تونس - الجمهورية التونسية

**أ. نزيه القسوس**
كاتب صحفي/جريدة الدستور
ص.ب ٢١٢٤
الرمز البريدي ١١٩٥٢
عمان - الأردن
تلفاكس: ٥٦٦٣٨٩٠-٩٦٢٦+

**أ. ممدوح أبو دلهوم**
ص.ب ٢٣٠١٥٢
الرمز البريدي ١١١٢٣
عمان - الأردن
هاتف : ٥٠٥٦٢٣٤

## تهنئة إلى أعضاء المنتدى

د. عبد السلام المجالي؛ د. فايز الطراونة

أة. ليلى شرف؛ د. رجائي المعشر

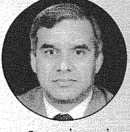
أة. أنعام المفتي؛ أ. نايف القاضي

على اختيارهم أعضاء في تشكيلة مجلس الأعيان الأردنيّ الجديد

**نهنىء ونبارك**



**أ.د همام غَصيب**
رئيس التحرير



**أ. سمير أبو عجوة**
مدير التحرير



**ا. نمير عباس مظفر**
مستشار الترجمة

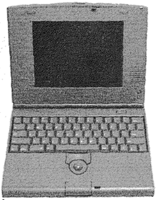


**مي الحلتة**
أمينة السّر



**ناصر جمال عبد القادر**
المخرج الفني
(انضمّ إلى الأمانة العامّة للمنتدى في ٢٠٠٣/٩/٢٠ نرحّب به ترحيباً خاصّاً)

**أسرة تحرير مجلة المنتدى**



# مواقع مهمّة على الإنترنت

## http://www.earthcharter.org

« وثيقة الأرض» في ١٢ لغةً،منها العربيّة. نقتطف من الصّيغة العربيّة ما يأتي [بتصرّف طفيف]:

«الآن وأكثر من أيّ وقتٍ مضى في تاريخ البشريّة، فإنّ المصيرَ المشترك يتطلب منّا أن نتطلع رلى بدايةٍ جديدة.

إنّ هذا التّجديد هو الوعد المتأتّي من مبادىء وثيقة الأرض. لتحقيق هذا الوعْد فإنّ علينا أنْ نُلزمَ أنفسنا بأن نتبنّى قِيَمَ الوثيقة وأهدافَها.

ويتطلّب ذلك تغييراً في العقل والقلب،وشعوراً جديداً من التّكافل العالميّ والمسؤوليّة الجماعيّة. إنّ علينا، وبصورة مبتكرة، أن نطوّر او نطبّقَ رؤيةً لأسلوبٍ مستدام من الحياة محليّاً وإقليميّاً وعالميّاً. إنّ تنوّعنا الثّقافيّ هو تراثٌ ثمين، والحضارات المختلفة ستجد أساليبها المميّزة لتحقيق هذه الرؤية. وعلينا أنْ نعمّق ونوسّع الحوار العالميّ الذي ولّد وثيقةَ الأرض هذه، لأنّ لدينا الكثير لنتعلّمه من خلال سعينا المشترك والمستمرّ وراء الحقيقة والحكمة».

## www.islamuswest.org

هذا هو موقع «حوارات : العالم الإسلاميّ - الولايات المتّحدة - الغرب».

*(Dialogues: Islamic World-US - The West)*

وهو برنامج من برامج معهد السّياسة العالميّة *(World Policy Institute)* في جامعة المدرسة الجديدة *(New School University)* بمدينة نيويورك. ويسعى إلى البحث عن أرضيّةٍ مشتركة بين هذه العوالم المختلفة.

## ثلاثة كتب صادرة عن مكتب التربية العربيّ لدول الخليج

- ١ -

# التربيـة وأزمة التنمية البشرية

**المؤلّف:** د. يعقوب أحمد الشراح

**الناشر:** مكتب التربية العربي لدول الخليج

الرياض - المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

عدد صفحات الكتاب: (٥٧٩) صفحة




### المحتويـــــات



«يقدّر خبراء التنمية والمختصّون فيها دور التربية في خطط التنمية وبرامجها المختلفة، بما تمتلكه من آليّات ووسائل لبناء شخصية الإنسان الذي ينتج التنمية ويستفيد من ثمارها.

ومع التطوّرات التي يشهدها العالم في الميادين المختلفة، أصبحت التنمية البشرية تمثل أزمة وثقلاً يقع على كاهل المؤسسات التربوية، التي صار لزاماً عليها أن تطوّر من أدائها وتحسّن من كفاياتها للإسهام بشكل فاعل في بناء الإنسان وإعداده ليتعامل مع المتغيّرات والتحدّيات التي لا تعرف إلى السكون سبيلاً.

ومنطقتنا تشهد خططاً تنموية كان للتربية أثرها الواضح عليها. وكان من الواجب على مكتب التربية العربي لدول الخليج أن يتناول هذا الجانب المهمّ من وظائف التربية؛ فعهد إلى الدكتور يعقوب أحمد حسن الشراح، الوكيل المساعد لوزارة التربية الكويتية سابقاً، بهذه المهمّة».

*عن تقديم: د. سعيد بن محمّد الملّيص*

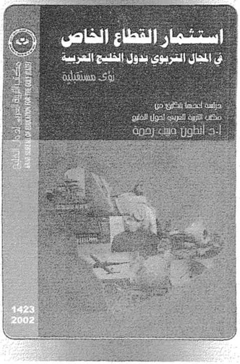
(المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج)

*[بتصرّف طفيف]*

- ٢ -

# استثمار القطاع الخاص في المجال التربوي بدول الخليج العربية - رؤى مستقبلية

**المؤلّف:** أ.د. أنطون حبيب رحمة
**الناشر:** مكتب التربية العربي لدول الخليج
الرياض – المملكة العربية السعودية
الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م
عدد صفحات الكتاب : (٢٣١) صفحة




## المحتويات



«يعتبر مجال الاستثمار التربوي في الوقت الحاضر من المجالات المهمة التي يمكن من خلالها تحقيق كثير من الايجابيات والإنجازات في مجال التعاون والتكامل بين قطاعات الأعمال والإنتاج وقطاعات التعليم المختلفة.

ويحاول هذا الكتاب وضع رؤى مستقبلية لاستثمار القطاع الخاص في المجال التربوي بدول الخليج العربية من خلال تعرف تجارب القطاع الخاص في المجال التربوي، واستعراض الفرص المتاحة للاستثمار فيه، واقتراح الوسائل والسياسات التي تحفز القطاع الخاص على الاستثمار فيه، واقتراح معايير وضوابط لتنظيم هذا النوع من الاستثمار بما يحقق الأهداف التربوية المناسبة للمجتمع الخليجي».

*مكتب التربية العربي لدول الخليج*

- ٣ -

# واقع القراءة الحرّة لدى الشباب

المؤلّف: د. علي بن عبد الله الحاجي
الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج
الرياض - المملكة العربية السعودية
الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م
عدد صفحات الكتاب: (٥٢٧) صفحة

## المحتويات



«تعالج هذه الدراسة موضوع القراءة الحرة لدى الشباب باعتبارها قناة أساسية تسهم في تنمية الثقافة العامة لديهم، ومنطلقاً يبني عليه الشباب شخصيتهم الحضارية. وتهدف هذه الدراسة الى تشخيص واقع القراءة الحرة في الدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج، واستعراض تجاربها في هذا المجال، والوقوف على معوّقات القراءة الحرة وصعوباتها لدى أبنائها، وأسباب العزوف عنها، واستقصاء توجهات الشباب نحو الموضوعات التي يفضلونها. كما تهدف الى مقارنة هذا الواقع مع نماذج من تجارب عربية وأجنبية، وصولا إلى نتائج وتوصيات تساعد في رسم الخطط المستقبلية للارتقاء بمستوى القراءة الحرة لدى الشباب وتنمية إقبالهم عليها».

*(مكتب التربية العربي لدول الخليج)*

*[بتصرّف طفيف]*

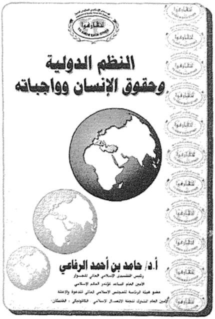


# النظم الدولية وحقوق الإنسان وواجباته

**المؤلّف:** أ.د حامد بن أحمد الرفاعي
**الناشر:** مطابع مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم)
جدّة - المملكة العربية السعودية
الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م
عدد صفحات الكتاب : (١١٢) صفحة

## المحتويـــات






أود أن أؤكد بأن الإسلام هو النظام الوحيد الذي تعامل مع رسالة الإنسان في الحياة بمنهجيّة شاملة ومتكاملة، كما أن الإسلام هو النظام الوحيد الذي أكد المعادلة الدقيقة بين حقوق الإنسان وواجباته، واعتبر أي إهمال لحقوق الإنسان أو واجباته إنما هو نوع من الاعتداء على رسالة الإنسان في الحياة، لأن الاسلام شريعة الله تعالى خلق الانسان وجميع المخلوقات، والمشرع الوحيد القادر على سن القوانين والمبادىء المناسبة لتأسيس العلاقة المتجانسة بين مهمة مختلف الخلائق لأداء فعاليات بناءة في الأرض، ولإقامة حياة عادلة وآمنة بين الناس.

*[المؤلف]*

قبيل الطباعة

# حروب النفط ... أحلام النفط ! *

روبيرت مابرو **

الظاهر ان الحلم المفضل لدى بعض اللوبيات والمعلقين في الولايات المتحدة هو أن الحرب على العراق ستؤدي في آخر المطاف إلى تطورات إيجابية في عالم النفط -إيجابية بالنسبة للولايات المتحدة،ومن ثم لمصالح الغرب عموماً. وتحدد هذه المصالح أساساً بأنها ضمان تدفق الوقود الهيدروكربوني (النفط والغاز) الرخيص الثمن. ومن هنا فالضامن الأفضل لذلك هو عراق ديمقراطي صديق للغرب وليبرالي الاقتصاد (أي الحلم السياسي مترادفاً مع الاقتصادي)...

ولما كان من المؤكد لعراق ليبرالي مساند للغرب أن يغادر «أوبك»، ذلك الكارتيل الذي ينظر إليه على أنه يعمل ضد مصلحة الغرب،ستكون النتيجة انخفاض أسعار النفط، وهو ما يؤدي إلى خفض أسعار أنواع الوقود الأخرى، مثل الغاز. ويؤدي هذا بدوره إلى تشجيع النمو الاقتصادي، وهو في نهاية المطاف في مصلحة الجميع، ولو بنسب وأشكال متفاوتة.

هذا هو الحلم. ومن غير المستغرب أنه بعيد من نواح كثيرة عن الواقع.ولأبدأ بإخضاعه لبعض التفحص النقدي. السؤال الأول: هل سيكون تدني أسعار النفط في مصلحة العراق - ذلك البلد الخارج لتوه من العقوبات وفوضى حرب ٢٠٠٣، والمحتاج إلى مبالغ هائلة من النقد الأجنبي للاعمار وخدمة بعض ديونه الخارجية ودفع قسم من التعويضات إلى ضحايا غزوه الكارثي للكويت في ١٩٩٠؟ ذلك أن المدخول من صادرات نفطية بحجم مليوني برميل في اليوم بسعر ٢٥ دولاراً للبرميل يفوق مدخول تصدير ٤ ملايين ب/ي بسعر ١٠ دولار للبرميل بمقدار ٣،٦٥ بليون دولار في السنة. والمشكلة أن على العراق أن يصبر على سعر منخفض لفترة تمتد عدداً من السنين - ربما ما بين خمس إلى ست - قبل أن يصل إنتاجه الى نحو خمسة ملايين ب/ي ليستطيع تصدير أربعة ملايين ب/ي أو ما يزيد قليلاً. ثانياً،لا بد لانخفاض سعر النفط أن يشكل قيوداً قاسية على الاستثمارات (سواء من الشركة الوطنية او الشركات الخاصة) الضرورية لرفع كمية الانتاج الى خمسة ملايين ب/ي.

* (الرأي الأردنية؛ عدد ١٢١٠٠ بتاريخ ٢٠٠٣/١١/٣) .

** مدير ندوة أكسفورد لدراسات الطاقة:عضو المنتدى.

## قبيل الطباعة

وقد يقرر العراق بالفعل الانسحاب من «أوبك» سواء بضغط أمريكي أو حسب أيديولوجيا حكومة مؤقتة. لكن هبوط الأسعار الذي سيتبع ذلك سيعيد العراق عاجلاً أو آجلاً إلى طاولة التفاوض،إما للعودة إلى المنظمة أو التعاون مع سياساتها.

كما لا يبدو أن الحالمين يدركون أن ليس من ارتباط ضروري بين رخص الأسعار وتأمين التدفق. النقطة الاولى هنا هي أن رخص السعر لا يشجع على الاستثمار في حقول جديدة أو إدامة القدرة الانتاجية الموجودة ضد عوامل التراجع الطبيعي في المرافق والمعدات. ثانياً، إن تراجع أسعار النفط، ومن ثم تراجع المداخيل، قد يهددان الاستقرار السياسي، ليس فقط في عدد من دول «أوبك» وخارجها، وليس فقط في منطقة الخليج.

السؤال الآخر الذي يتهرب منه الحالمون هو عن قدرة العراق مستقبلاً على القيام بدور المملكة العربية السعودية في السوق العالمية للنفط. إنه دور العنصر الموازن في الانتاج، الذي قامت به المملكة في ١٩٨٠ - ١٩٨١ إثر نشوب الحرب العراقية - الايرانية، ثم في ١٩٩٠ بعد الغزو العراقي للكويت، وأخيراً في ٢٠٠٣ عند توقف الصادرات العراقية بفعل الحرب. ويحتاج أي بلد يقوم بهذا الدور إلى غزارة في الانتاج أصلاً، بالاضافة الى قدر مهم من القدرة الانتاجية الفائضة.

وإذ لا شك أن الانتاج العراقي سيرتفع مستقبلاً، لكني لم أر توقعات تشير الى أنه سيعادل،ناهيك عن أن يتجاوز، مستويات السعودية.كما أن أحداً لا يتوقع من العراق أن يستثمر في قدرة إنتاج احتياطية تبقى عاطلة.

قدرة السعودية على ضمان التدفق أثناء الأزمات، كما في الأمثلة الثلاثة أعلاه، هي من المسلّمات. فقد جاءت الإمدادات الأكبر التي عوّضت عن النقص أثناء الحروب من المملكة العربية السعودية، وليس من الاحتياطي الاستراتيجي الأمريكي، أو المخزونات اليابانية الكبرى، أو مشاريع الوكالة الدولية للطاقة لتوفير شبكة الأمان. أما الدور الذي يمكن للعراق، أو روسيا أو بحر قزوين أو غرب أفريقيا، القيام به فهو لا يزال بعيداً عن التصور، ناهيك عن أي افتراض معقول بإمكان اللجوء إليه.

إنني أتفهم تماماً سعي الولايات المتحدة إلى تنويع مصادرها الخارجية للطاقة. لكن التنويع يعني إضافة مصادر جديدة للمصادر الموجودة، وليس الاستعاضة عن المصادر الأصلية التي أثبتت موثوقيتها عبر العقود.

عدم الاستقرار السياسي،كما يرينا التاريخ القريب، قد يصيب أي بلد. وهل السعودية، مثلاً، أقل استقراراً من فنزويلا أو نيجيريا أو اندونيسيا، أو أنغولا -اذا ذهبنا خارج «أوبك» -أو دول أخرى في غرب أفريقيا مثل غينيا الاستوائية (على رغم الآمال الكبيرة المعقودة عليها)، أو دول بحر قزوين الجديدة على السوق؟ لا أعرف.لكن أخشى أن الأحكام المسبقة قد تغشى الأعين وتحجب الرؤية وتسمح للأحلام بأن تكون سيدة الموقف.

# مراسلات

**سلام الله عليكم ورحمته وبركاته**

وتحيات طيبات مباركات ونحن ندخل النصف الثاني من شهر رمضان المبارك الى الأخ العزيز سمو الأمير الحسن بن طلال، رئيس المنتدى وراعيه، والى أسرة المنتدى جمعاء، وأبارك بقرب حلول عيد الفطر وكل عام وأنتم بخير.

أمضيت هذا الصباح وقتاً رائعاً مع العدد (٢١٢) من مجلة **المنتدى** (شهر ٢٠٠٣/٩). وهو بحق عدد ممتاز بمضمونه الغني وبإخراجه الجميل. وقد قرأته من الغلاف الى الغلاف. واني أزجي التحية للمنتدى ولأخي رئيس التحرير الأستاذ الدكتور هُمام غَصيب.

ولي أن أخص بالذكر من بين موادّه الممتازة هذا الملف الخاص «سين وجيم : قضايا معاصرة» للحسن بن طلال. فقد جاء هذا الحوار الغني متضمناً عصارات فكرية عربية تغني قارئها وتبعث على التفكير وتوحي بالكثير. وحسناً فعل **مجلس الحسن** بإخراجها في رسالة. وأرجو أن تتفضل بنقل شائي العطر لراعي المنتدى على هذا الإسهام الفني في تناول قضايانا المعاصرة استمراراً لدوره واحداً من مفكري عالمنا وأمتنا.

أبارك بقرب افتتاح المقر الدائم للمنتدى. ..... .

بقي أن أحيّي أخي الأمين العام صاحب المنزلة العالية عند أخيه، مشيداً بجهده.

حفظكم الله والسلام ...

*د. أحمد صدقي الدجاني*

# منتدى الفكر العربي

## ٢٠٠٣

## الندوات

- ١ -

باستضافة المنتدى
للإعلان وادي الأردن :

**حان الوقت لتعبئة الجنوب**

منتدى مركز الجنوب للسياسات العليا
وادي [غوْر] الأردن/البحر الميت/الأردن
١٤-١٥ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٣

- ٢ -

المؤتمر السنويّ ٢٠٠٣ لنادي روما
بالتعاون مع منتدى الفكر العربي

**«البحث عن أرضيَة مشتركة للسلام والتنمية»**

عمّان؛ ٧-٢٠٠٣/١٠/١٠

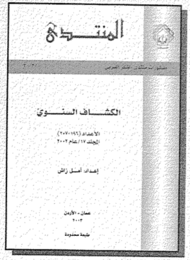
## اجتماعات لجنة الادارة

- ❖ يوم الأحـــد الموافق ٢٠٠٣/٠٣/٠٩
- ❖ يوم الخميس الموافق ٢٠٠٣/٠٥/١٨
- ❖ يوم الإثنين الموافق ٢٠٠٣/٠٦/٢٣
- ❖ يوم الأحـــد الموافق ٢٠٠٣/١٠/٠٥
- ❖ يوم الأحـــد الموافق ٢٠٠٣/١١/١٦

## اللقـــاءات الشهـــريـــة

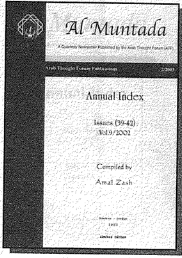
| رقم اللقاء | تاريخ اللقاء | الموضـــــوع | اسم المحاضر |
|---|---|---|---|
| الأول | ٢٠٠٣/٠١/٢٢ | المشروع النهضوي العربي : مدخل حضاري | د. إبراهيم بدران |
| الثاني | ٢٠٠٣/٠٢/١٠ | الصراعات الداخلية العربية : رؤية في الأسباب والدوافع | د.سامي الخزندار |
| الثالث | ٢٠٠٣/٠٣/١٩ | دور الأمة الحضاري في عالم مضطرب | د.أحمد صدقي الدجاني |
| الرابع | ٢٠٠٣/٠٤/١٦ | الاستراتيجية الأمريكية الجديدة : الحرب على العراق نموذجاً | أ.حسن الأنباري |
| الخامس | ٢٠٠٣/٠٥/١٩ | الوضع العربي : المستقبل المنظور | أ. عدنان أبو عودة |
| السادس | ٢٠٠٣/٠٦/١٩ | تحديات الحاكمية العالمية The Challenges of Global Governance | د. رامش ثاكور |
| السابع | ٢٠٠٣/٠٧/١٦ | المستجدات السياسية في آسيا الوسطى بعد الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ | د.غالي عودة |
| الثامن | ٢٠٠٣/٠٨/٠٦ | المحافظون الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية | د. يوسف الحسن |
| التاسع | ٢٠٠٣/٠٩/٠٣ | جلسة العصف الذهني (المسألة العراقية) | أ. اديب علم الدين<br>وأ.عصام الجلبي، والحضور |
| العاشر | ٢٠٠٣/١١/٠٤ | الأمة والإشكالية الحضارية | د. حامد بن أحمد الرفاعي |

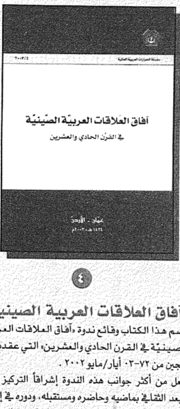
# المطبوعات




**١** الكشاف السنوي لنشرة المنتدى (٢٠٠٣/١)
الأعداد (١٩٦-٢٠٧)/٢٠٠٢
إعداد : أمل زاش
*طبعة محدودة*

**٢** *Al-Muntada Annual Index (2/2002)*
Issues (39-42); Vol. 8/2001
Compiled by: Amal Zash
*Limited Edition*

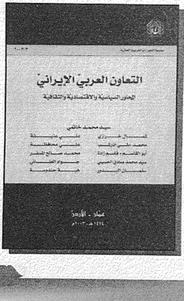



**٣**

## التعاون العربي الايراني

يتضمن هذا الكتاب الاوراق والكلمات المقدمة في ندوة (التعاون العربي الايراني: المحاور السياسية والاقتصادية والثقافية) التي عقدت في طهران/ الجمهورية الايرانية في ١٤ - ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٩. كما يتضمن خلاصة المداخلات والمداولات التي جرت في أثناء فترات المناقشة العامة.




**٤**

## آفاق العلاقات العربية الصينية

يضم هذا الكتاب وقائع ندوة «آفاق العلاقات العربيّة الصينيّة في القرن الحادي والعشرين» التي عقدت في بيجين من ٢٧-٣٠ أيار/مايو ٢٠٠٢.

ولعل من أكثر جوانب هذه الندوة إشراقاً التركيز على البعد الثقافي بماضيه وحاضره ومستقبله، ودوره في إدامة التعاون التجاري، وإضفاء بعد خاصّ على التعاون السياسي.

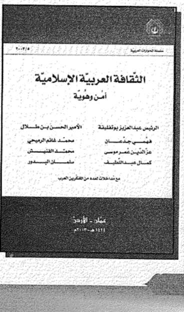
لقد بيّنت مداولات الندوة أنّ مستقبل التعاون العربي الصيني مشرق وأن إمكانات الجانبين كبيرة، مع أنّ ما بذل من جهود لدعم التعاون ما زال متواضعاً؛ كما أن التحديات لا تزال كبيرة في ظل العولمة والانفتاح الاقتصادي.

**٥**

## الثقافة العربية الاسلامية

يشتمل هذا الكتاب على الكلمات التي ألقيت، والأوراق التي قدمت، في ندوة «الثقافة العربية الاسلامية: أمن وهوية»، التي عقدها منتدى الفكر العربي في عمان في ١٧-٢٠٠٢/١٢/١٨، وشارك فيها نخبة من أهل الفكر والمختصين العرب.

تعرضت الندوة لحاضر الثقافة العربية الاسلامية ومستقبلها، ولدورها في التنمية وعلاقتها بالآخر، ولموضوعات اخرى. واختتمت بمائدة مستديرة دارت فيها مداخلات ومناقشات ثاقبة.



# المنتـــــــدى

## محتويات المجلّـد الثامن عشر ٢٠٠٣

## تقـــــارير:



## مقـــــالات



## مقـالات مترجمـة



## اللقـاءات الشهريـة

## منظمات ومؤسسات:



## تعليقات:



## محاضرات:



## حوارات



## جولة العدد:

من أحدث ثمار المطابع: كتاب مهمّ



## قبيل الطباعة:

## دراسات:



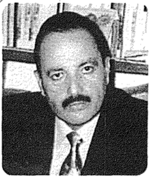
## غذاء للعقل:



## من مكتبة المنتدى:



## كلمة أخيرة



# الهنـــدو - هـــوديـزم !!!
# "التوأمةُ النوويّةُ بين نيودلهي و تل أبيب"

أ. ممدوح أبو دلهوم *

ليست لي ابتداءً نظرية الأخ العقيد معمر القذافي، قائد ثورة الفاتح من سبتمبر الماجدة ، في وضعِ توليفة لدولة مشتركة تتكون من فلسطين واسرائيل هي (دولة إسراطين) ، معتمداً في تخريجته الفكرية هذه على تكُؤة تتوسل المستقبليّ بمعنىً القطيعة مع الماضويّ تجمع بين (الديموغرافي) و (الجغرافي) ، وذلك في غياب ما يمكن وضعه في سياق جوامعَ سوسيولوجية (صعبة) و أخرى (مستحيلة) بين الطرفين المتصارعين . ومهما يكن من أمر هذه التوليفة المفترضة ، فإنني شخصياً لم أجد أفضل من مصطلح (الهندو - هوديزم ) توصيفاً للتوأمة بين (الهند) و (إسرائيل)، وتحديداً بين (الهندوسية) و (اليهودية) ، وذلك فيما يخص عدائهما التاريخي والمثالي للمسلمين. فالقارئ في ألف باء المسألة الكشميرية، تدليلا ، سوف يظهر وبوضوح على الكراهية الطائفية المنبع والمصب من الهندوس ومن لف لفهم بحق المسلمين الكشميريين، مما يلتقي شكلا ومضمونا مع تلاوين العداء الصهيوني السافر بحق المسلمين - في فلسطين، بوجه خاص. أما في الأروقة وعلى المنابر الدولية وخلف الكواليس طبعاً فلا يُخفي الطرفان عداءهما للمسلمين ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يمكن القفز عن سلسلة التفاهمات الهندية الإسرائيلية التي تتم في الغالب عبر صيغ شتّى سرية وعلنية ضد الكشميريين والفلسطينيين. ومرد ذلك فيما نعلم هو مقولة ( النقاء العرقي ) لدى الطرفين الهندوسي واليهودي (!) التي تفصح عنها بشكل صارخ التعاليم الدينية القديمة لدى بني إسرائيل ، وبخاصة تلك التي تشير إلى نقاء الجنس اليهودي أو عراقة بني إسرائيل (شعب الله المختار !) ، أضف إلى ذلك تشدقهم المعروف لدى جهات الكوكب الأربع كافة بخرافة ما يسمى بأكذوبة (العداء للساميّة) التي يرى بنو إسرائيل أنهم المعنيون بها دون غيرهم من أمم الأرض . لست هنا بمعرض الإسهاب بعيداً في هذا الباب ، بعد إذ أشبعه قبلي باحثون كثيرون تحليلاً وتأريخاً، وحسبي الإشارة إلى النظرة العدائية المشتركة للإسرائيليين والهندوس لغيرهم من المسلمين في كشمير وفلسطين ، إذ حدّثْ ولا حرج عن ما يسمى حاضراً بـ( المسألة الكشميرية )، التي تستوي عنواناً لذلكم الصراع التاريخي بين الهندوس والمسلمين الذي يترجمه واقعاً دموياً على الأرض النزاعُ على إقليم كشمير بين الهند وباكستان. فمع أن غالبية السكان في كشمير والتي وصلت بحسب آخر الإحصائيات إلى (٧٨) وفي إحصائية أخرى إلى (٩٠) هم من المسلمين ، إلا أن الحكومة الهندية تقف دون انضمام هذا الإقليم ذي الأغلبية المسلمة إلى جمهورية باكستان الإسلامية مكتفية فقط بما يشبه حكومة إقليمية في كشمير تحكم شكلا لا مضمونا. أما رفض الهند لعملية الانضمام فمردّه هو الخوف من زيادة التعداد الديموغرافي في الجانب الإسلامي، ونعني باكستان ، مما يزيدُ طبعاً في شوكة باكستان المسلمة، و يُعلي من شأنها في شبه القارة الهندية، ولم تكتف الهند بموقفها هذا من مُسلميّ كشمير، بل إمعانا في حقدها الدفين على الإسلام والمسلمين راحت تطلق يدها ذبحا وتنكيلا بحق المسلمين منذ عام (١٩٤٧)، عام تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين : الأولى هندوسية هي (الهند) برئاسة (البانديت جواهر لال نهرو) ، أما الثانية فإسلامية هي (باكستان) برئاسة (محمد علي جناح) . أجل، فها هم الهندوس ، فضلا عن قوميات أخرى هندوكية المرجعية العقيدية ، يقومون حتى اليوم بهدم المساجد وبالمذابح الجماعية للمسلمين داخل الهند، وبخاصة إقليم كشمير ، مما بالكاد تصلنا أخباره المأساوية بسبب ما يضمره الإعلام الصهيو أمريكي بعرّابيه و حاخاماته من حقد دفين على الإسلام والمسلمين ، حتى أن (طائفة المنبوذين) المحرومين تماما من حقوقهم الدينية والاجتماعية، بل والإنسانية أيضاً كالمسلمين ، لا يحق لهم الجلوس في المقاهي والحافلات والميادين العامة التي تخص الهندوس أو الهندوكيين ، ذلك أنهم يعتبرون المنبوذين أقل مرتبة من الكلاب والقطط والدواب بوجه عام. ومن الغريب حقا أن نقرأ مثلاً في صحيفة المنبوذين / الملونين (صوت المنبوذين): أن (بابو) الأمة الهندية (المهاتما غاندي) كان يُقربّهم منه ويخصهّم بمعاملة جد إنسانية لدرجة أنه أطلق عليهم اسم (الهاريغان)، أي (أبناء الآلهة)، بدلا من اسم (الشوذر)، أي المنبوذين/ الملونين. غير أن ذلك - كما تقول الصحيفة - لم يكن إلاّ موقفا ذكياً من غاندي أراد به الحيلولة دون اعتناق هؤلاء المنبوذين الدين الإسلامي . لا عجب إذن ، ختاما ، أن نرى هذه التوأمة بين الهنود و الإسرائيليين ضد المسلمين في كشمير وفلسطين ، وأن نرى تلاوين التورية وصم الآذان وإغماض العيون وما شئت من أشكال الصمت العالمي ، وذلك بشأن ترسيخ العلاقات الاستراتيجية التي وصلت إلى مستوى التوأمة في التسلح النووي، أو ما بات يطلق عليه حاضرا بأسلحة الدمار الشامل. وعليه، فليس غريبا أن يكون شارون ضيفاً عزيزاً (دائماً) على الحكومة الهندية. فالعدو، فلسطينياً كان أم كشميرياً، هو واحدٌ للطرفين الهندي والإسرائيلي كما ترون، وليس عجيباً بالتالي، عطفا على ما أنفت ، أن تكون هذه العلاقات النووية، تكتيكياً واستراتيجياً، على هذا المستوى من المثالية إلى حد التوأمية بين حكومتيّ نيودلهي وتل أبيب ، مما يمكن وصفه بقوة بـ( الهندو - هوديزم)، لكن ليس على طريقة (إسراطين) القذافية، فالأخيرة هذه لا تعدو أن تكون مجرد فكرة لم تغادر رأس الزعيم الليبي ، في حين أن الأولى قد باتت واقعاً مُمارساً على الأرض . □

* كاتب صحافي : جريدة الرأي الأردنيّة.

# المقر الدائم لمنت

## مقرّ جديد وانطلاقة




المدخل الرئيسي



المكتبة



قاعة الحسن بن طلال

# دى الفكر العربيّ

## جـديدة بإذن اللّــه



صورة من الداخل : البهو




منظر عام من الخارج



قاعة الاجتماعات

# ... وزيارةٌ كريمةٌ للمقرّ الجديد

## يـــوم الخمـيس ا



المدخـــــل



صورة جماعية



اجتماع في مكتب الأمين العام



في قاعة المؤتمرات

# قام بها سموّ رئيس المنتدى وراعيه

## ـوافق ١٣/١١/٢٠٠٣



في القاعة المتعدِّدة الأغراض



في المكتبة



في مكتب مدير إدارة الدراسات والبرامج/
رئيس تحرير مجلة المنتدى



في مكتب مخرج المجلَة

# رؤية ورسالة وقيم وأهداف أمانة عمان الكبرى



"إن الإدارة التي تستطيع تحقيق الأهداف بجدية وبكلفة أقل وزمن أقصر، هي الإدارة الحصيفة، التي تقوم على إيجاد مؤسسات متخصصة فاعلة تعمل بروح الفريق الواحد، وتتوفر لها قيادات إدارية كفؤة نزيهة تقدم الصالح العام على أي اعتبار آخر، وتتصف بالعدالة والمبادرة والإبداع، وتركز على العمل الميداني وتتصدى للمعاضل قبل وقوعها أو حين يكون من السهل التعامل معها قبل أن تتفاقم...."

جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين

أيار ١٩٩٩

## رؤيتنا

نسعى بمشاركة مواطني عمان لتقديم خدمات بلدية متميزة تفوق طموحات متلقي الخدمة مع مواكبة الحداثة والمحافظة على أصالة المدينة وروحها.

## رسالتنا

نلتزم بتقديم الخدمات لمواطني مدينة عمان بمشاركتهم والعاملين في الأمانة بيسر وشفافية وعدالة مع المحافظة على القيم الثقافية والبيئة المعمارية والسياحية للمدينة لتبقى آمنة ومريحة تحقق الرضا والرفاه لمتلقي الخدمة وتحقق التنمية المستدامة بالاستخدام الأمثل والتطوير للموارد المالية والبشرية والتقنية وإدارة المعرفة.

## القيم

١. مشاركة وإرضاء متلقي الخدمة المحرك الرئيسي لتصميم وتطوير الخدمات.
٢. القيادة الملهمة النموذج.
٣. أصالة المدينة وتراثها المعماري وتنويع ثقافتها.
٤. بيئة صحية سليمة.
٥. العدالة والشفافية والمساءلة وبناء الثقة.
٦. المواءمة بين النتائج والأهداف الوطنية.
٧. التواصل والتنسيق داخليا وخارجيا.
٨. التصدي للمشاكل قبل وقوعها.
٩. تعزيز ومكافأة المبادرة والإبداع والعمل الجماعي.
١٠. التخطيط والتطوير والتحسين المستمر.
١١. مؤسسة التعلم وتبادل المعرفة.
١٢. الولاء والانتماء.
١٣. ترسيخ مفهوم الخدمة العامة للعاملين.
١٤. تمكين العاملين وتفويض الصلاحيات.
١٥. الالتزام بالتشريعات.

## الأهداف

١. وضع خطة استرتيجية لمدة ٢٠ عام.
٢. تنمية الموارد المالية.
٣. التطوير الإداري.
٤. تحقيق إدارة المعرفة.
٥. الاستخدام الأمثل للموارد.
٦. تخفيض كلفة الخدمات بزيادة تعاون المواطنين.
٧. تحسين الوضع البيئي والصحي للمدينة.
٨. تحسين الوضع المروري.
٩. تحقيق الأمانة الإلكترونية.
١٠. تنمية اقتصادية واجتماعية.
١١. مكافحة التصحر وزيادة الرقعة الخضراء.
١٢. زيادة الاهتمام بالثقافة.
١٣. تشجيع السياحة.
١٤. الاهتمام بالبعد التراثي.
١٥. زيادة الاهتمام بالرياضة.

**بمناسبة صدور**

**هذا العدد الأخير ٢١٣**

**في المجلّد الثّامن عشر للعام ٢٠٠٣**

**نهنىء أُسرةَ المنتدى**

رئيساً وراعياً، وأعضاء عاملين

وموظفين في الأمانة العامة، وأعضاء مؤازرين

**بمناسبة حلول**

**عيد الفطر السعيد**

**وعيد الميلاد المجيد**

**ورأس السنة الميلادية الجديدة**

كلّ عام وأنتم جميعاً بألف خير

مجلّة
المنتدى

## قسيمة اشتراك
## في المجلة وفي كتب المنتدى

أرجو قبول اشتراكي في : ☐ مجلّة المنتدى

☐ مجلّة المنتدى + إصدارات عام ٢٠٠٣ (الكتب)

**الاســـم :** ..............................................

**العنوان :** ..............................................

..............................................

..............................................

**قيمة الاشتراك*:** .................. طريقة الدفع : ☐ نقداً ..................

**بطاقة فيزا رقم :** .................. تاريخ انتهاء مدتها : ..................

**حوالة بنكية (صافي القيمة)** ..............................

رقم الحساب : **610/8 - 0118/001769** (البنك العربي، فرع الشميساني؛ عمّان، الأردن)

**التوقيع :** ..............................................

**التاريخ :** ..............................................

تُملأ هذه القسيمة وتُرسلُ مع قيمة الاشتراك إلى العنوان الآتي :
منتدى الفكر العربي؛ ص.ب: (٩٢٥٤١٨)
عمّان ١١١٩٠؛ الأردنّ

| *قيمة الاشتراك السنوي | | المجلة | المجلة + الكتب |
|---|---|---|---|
| | داخل الأردن | للأفراد : (٢٠) عشرون ديناراً أردنياً<br>للمؤسسات : (٤٠) أربعون ديناراً أردنياً | للأفراد : (٥٠) خمسون ديناراً أردنياً<br>للمؤسسات : (١٠٠) مئة دينار أردني |
| | خارج الأردن | للأفراد : (٥٠) خمسون دولاراً أمريكياً<br>للمؤسسات : (١٠٠) مئة دولار أمريكي | للأفراد : (١٥٠) مئة وخمسون دولاراً أمريكياً<br>للمؤسسات : (٣٠٠) ثلاثمئة دولار أمريكي |

Al Muntada

A Biomonthly Cultural Magazine

**Published by the Arab Thought Forum (ATF)**

Amman - Jordan

# المنتدى

**مجلة فكرية ثقافية يُصدرها مرّة كل شهرين**

**منتدى الفكر العربي**

**عمّان - الأردن**

## إرشادات عامّة لكُتّاب المجلّة

- **يشترط أن لا يزيد طول المادة المقدمة للنشر على عشر صفحات من القطع الكبير، وأن تكون مطبوعة على الحاسوب (الكمبيوتر).**
- **يُرجى موافاتنا بالقرص (الديسك) أو إرسال المادة بالبريد الإلكتروني.**
- **يُشترط أن تكون المادة غير منشورة أو مقدمة للنشر الى أية جهة أخرى.**
- **يُرجى من الكتاب ذكر عناوينهم، بما في ذلك رقم الهاتف والبريد الإلكتروني والناسوخ (الفاكس).**
- **يُقلّل عددُ الهوامش والمصادر والمراجع بقدر الإمكان.**
- **يُرجى العناية بالأسلوب وبمستوى اللغة عنايةً خاصّة.**
- **تحتفظ هيئة التحرير بحقها في إجراء التعديلات المناسبة على الموضوع المقدّم إن رأت ذلك ضرورياً.**
- **تعتذر الهيئة عن عدم إعادة الموضوعات التي لا تقبل للنشر إلى أصحابها.**

* الآراء الواردة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي منتدى الفكر العربي.

**منتدى الفكر العربي**

ص.ب : ٩٢٥٤١٨

عمّان ١١١٩٠ - الأردن

تلفون : ٥٣٣٣٢٦١ / ٥٣٣٣٦١٧ (٦-٩٦٢+)

ناسوخ (فاكس) : ٥٣٣١١٩٧ (٦-٩٦٢+)

**Arab Thought Forum**

P.O.Box : 925418

Amman - 11190 Jordan

Tel : (+962-6) 5333261/5333617

Fax : (+962-6) 5331197

E-mail: *atf@nic.net.jo*

URL: *www.almuntada.org.jo*

سعر النسخة : ديناران أردنيان (ثلاثة دولارات أمريكية)



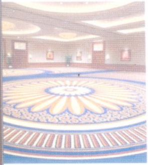
## الفخامة والتميز

يحتل فندق مريديان عمان موقعا "مميزا" وعلى بعد دقائق من وسط العاصمة. ملتقى رجال الأعمال في المملكة.

بعد أن حقق الفندق نقلة نوعية كبيرة في التطوير والتحديث. حظي قصر المؤتمرات بالفندق باستضافة مؤتمر القمة العربي الاخير لما يتميز به من حسن تصميم وتجهيزات متطورة وديكورات فاخرة. بالإضافة الى العديد من المؤتمرات والمعارض والندوات العالمية والمحلية.

وتبلغ مساحته ١٢٣١ مترا مربعا خاليا من الأعمدة ومضاء اضاءة طبيعية ويتسع لحوالي ١٥٠٠ شخص ومزود بأحدث تجهيزات الضوء والصوت التي يمكن تشغيلها أليا عن بعد ويمكن بث الانشطة من الداخل لاي محطة تلفزيونية محلية فضائية وعالمية.

كما يشمل فندق مريديان جناح رجال الأعمال المميز بغرفه الواسعة والانيقة والمؤثثة لتوفر جميع سبل الراحة للزائر. وصممت هذه الغرف لتتناسب مع احتياجات رجال الأعمال وتوفير كافة التسهيلات من خدمة الانترنت السريعة وخدمة الاستقبال على مدار ٢٤ ساعة ومتعة مشاهدة القنوات الفضائية وخدمات تنظيف الغرف.





**مريديان**
**عمان**

تلفون ٥٦٩٦٥١١ ٦ ٩٦٢+
www.lemeridien.com
meridien@lemeridien-amman.com
Toll Free 800 22 555
(Jordan only)

BENIHANA · La Brasserie · China Town · THE BREWS · C'est Si Bon · La Terrace